نائب القلعة في عصر المماليك

(٦٤٨-٩٢٢هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)

إعداد الباحثة

فاطمة الزهراء عبد العزيز فرج أبو العنين

أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي

جامعة الأزهر - تفهنا الأشراف

ملخص البحث

اتفق البلاغيون على أن لاستقصاء المعاني أثرا واضحا في إبراز الأفكار، وتوضيحها من جهة أن المتكلم يسبر أغوارها، ويستخرج كنهها،حتى يأتي بجميع عوارضها ولوازمها، بعد استقصاء أوصاوفها الذاتية.

وهو باب من أبواب البراعة في التعبير عن المعاني، يحمد إذا جاء عفويا وفطريا، كما أنه لا ينقاد للمتكلم إلا إذا كان على وعي تام بصفات، وأحوال المعاني.

وهذا البحث قد وقف – بما لا يدع مجالا للشك من خلال تحليل نماذج من الأمثال النبوية – على تمكن البيان النبوي من توظيف الاستقصاء في خدمة الأفكار وتوضيح المعاني، وسبر أغوارها، بما لا يَتْرك لمَن يتناولها بعده مقالاً إضافيّا فيها.

Summary

The eloquent agreed that the depth of the meanings has a clear effect in highlighting the ideas, and clarifying them on the one hand that the speaker is testing them to know their depth, And extract the essence, even comes all their needs and supplies, after deepening in their self-descriptions, which is a section of ingenuity in the expression of meanings, Praise be if he came spontaneously and instinctively, as he can not be removed speaker unless he is fully aware of the qualities, and conditions of meanings. This research has stopped. Without any doubt by analysing models of prophetic works. The Prophet's statement enables us to employ the utmost in depth in serving ideas and clarifying meanings, And to test its depth, so as not to leave for those who use after him an additional article in it.

المقدمة

تُعد وظيفة نيابة القلاع من أهم الوظائف التي عليها المدار في حفظ البلاد من الأخطار التي تحيق بها، كما أنها من أهم العوامل التي تكفل الأمن والاستقرار في البلاد، إذ إن سيادة الأمن والدفاع عن البلاد هو واجب شرعي أمر الإسلام بالاستعداد له تحقيقًا لقول الله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**﴾[(١)]، فكانت هذه الوظيفة واحدة من الإعدادات، والتي تم تناولها في هذا البحث.

وقد تناول البحث في هذه الوظيفة الحديث عن:

مواصفات نائب القلعة، ومراسيم التولية، ثم مهامه التي تسند إليه، والنصائح التي تُسدى له، وتعهده بتنفيذ تلك المهام. كذلك اشتمل البحث على الحديث عن الدور السياسي والعسكري لنائب القلعة، ويليه الحديث عن الدور الاجتماعي له، بالإضافة إلى مهام أخرى قد تسند إليه خارج مهامه المنوطة به في مرسوم التوليه، وأخيرًا الحديث عن مكانة نائب القلعة بين الارتقاء والانحدار.

ومما يُلاحظ خلال البحث ندرة المعلومات الواردة عن نواب القلاع، فلا يُوجد عنهم إلا النذر اليسير، ولا تتوفر عن معظمهم تراجم، ومن توافرت عنه ترجمة فهي ليست شافية كافية، بل إن أغلبهم لا يُعلم عنه شيء إلا من خلال ذكر خبر عزله أو وفاته في المصادر التي تؤرخ بالطريقة الحولية، ولذلك فمن توافرت عنه تراجم فقد ذكرت ترجمته، ومن لم تتوافر له ترجمة فقد

---

(١) سورة:الأنفال، الآية (٦٠).

ذكرته بإسمه فقط، أو بما ذُكر به في المصادر. كما ذُكرت الأحداث هنا بالتسلسل الزمني قدر الإمكان، ما لم يكن الحدث ممتدًا لعدة سنوات، فيتم ذكره مكتملاً دون تقطيع، ويتم بعدها العودة إلى التسلسل الزمني.

وأنهيت البحث بخاتمة بها أهم ما تم التوصل إليه من نتائج حول وظيفة نيابة القلعة، ويليها ملحق جدول مشتمل على من توفرت أسماؤهم ممن تولى وظيفة نيابة القلعة في عصر المماليك.

والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل..

نائب القلعة في عصر المماليك
(٦٤٨ – ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ – ١٥١٧م)

حث الإسلام أتباعه على إعداد القوة ومدافعة المعتدين والجهاد فى سبيل الله، وكان من وسائل المسلمين إلى ذلك بناء الاستحكامات العسكرية من أربطة وقلاع وأسوار وأبراج ومداخل ومدن، وزودت هذه المنشآت بالتحصينات اللازمة وعناصر الدفاع(١).

وتعد القلاع واحدة من أهم هذه الاستحكامات العسكرية، فالقلعة هي الحصن الممتنع فى جبل، وجمعها قِلاع وقَلَع، وأقلعوا بهذه البلاد: بنوها فجعلوها كالقلعة، وقيل: القلْعة بسكون اللام حصن مُشرِف(٢).

وتتعدد القلاع فى الديار المصرية والشامية، فأما التي فى مصر فأشهرها قلعة الجبل، وهي تتصل بجبل المقطم، ويدور بها سور من حجر بأبراج، وتشرف على القاهرة ومصر والنيل والقرافة، وكان موضعها أولاً يُعرف بقبة الهواء، ثم صار تحته ميدان أحمد بن طولون (*)(٣)، ثم صار موضعها مقبرة

(١) حسن الباشا: الآثار الإسلامية (عمارة – فنون)، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٩٠م، ص١٤٢.

(٢) ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: محمد عبد القادر وآخرون، الإمارات العربية المتحدة – مركز زايد للتراث، ٢٠٠١م، ج٣، ص٢٨٩.

(*) أحمد بن طولون: أبو العباس التركي، صاحب مصر، حفظ القرآن الكريم، وطلب العلم، وولي ثغور الشام ثم إمرة دمشق، ثم ولي الديار المصرية فى ٢٥٤هـ/٨٦٨م، كان سمحًا، شجاعًا، توفى ٢٧٠ هـ/ ٨٨٣م. "الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد فهيم، ط٩، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ، ج١٣، ص ٩٤، ص٩٦".

(٣) العمري: مسالك ج٣ ص ٢٨٩/ بول كازانوفا: تاريخ ووصف قلعة القاهرة، ترجمة: أحمد دراج/ جمال محرز، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ص٦٠، ص٦١.

فيها عدة مساجد[١]، إلى أن أنشأها السلطان الملك الناصر صلاح الدين أيوب[*][٢] على يد بهاء الدين قراقوش الأسدي[٣] وذلك في ٥٧٢ هـ/ ١١٧٦م، ثم صارت من بعده دار الملك بديار مصر[٤].

وعن السبب الذي دعا صلاح الدين الأيوبي إلى اختيار موقع قلعة الجبل فقيل فيه: إنه علّق اللحم بالقاهرة فتغير بعد يوم وليلة، فعلّق لحم حيوان آخر فى موضع القلعة فلم يتغير إلا بعد يومين وليلتين، فأمر حينئذ بإنشاء القلعة هناك[٥].

---

(١) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، م٣، ص٦٣٧.

(*) صلاح الدين الأيوبي: يوسف بن شادي، سلطان مصر والشام والجزيرة، ولد بتكريت، وتسلطن ٥٦٤هـ/١١٦٨م، كان كريمًا حليمًا، حسن الأخلاق، متواضعًا، كثير التغافل عن ذنوب أصحابه، سمع الحديث، وكان عنده علم ومعرفة، عظيم الجهاد، وفتوحه تدل على ذلك، توفى ٥٨٩هـ/١١٩٣م. "ابن الأثير، أبو الحسن علي محمد بن عبد الكريم الشيباني: الكامل فى التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ ، ج١٠، ص٢٢٤، ص٣٢٥".

(٢) القلقشندي، أحمد بن علي: ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر، ط١، القاهرة، ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م، ص٢٣٣/ حسن الباشا: الآثار، ص١٤٤.

(٣) بهاء الدين قراقوش الأسدى: خصي أبيض، من أعيان الأمراء الأسدية، كان لا يجرى فى القصر صغير ولا كبير إلا بأمره، توفى ٥٩٧هـ/١٢٠٠م."ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص١٩، ص٣٣".

(٤) ابن فضل الله العمري: مسالك، ج٣، ص٢٨٩.

(٥) المقريزي: الخطط، م٣، ص٦٤٤/ كريزويل: وصف قلعة الجبل، ترجمة: جمال محمد محرز، القاهرة- الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ص١٤، ص١٥.

أما الشام فهي كثيرة القلاع والحصون، أهمها قلعة دمشق، وتسمى بقلعة المنصورة[(١)]، وهي التي لا يُهتدى في السلم والحرب إلا بمنارها، وقد ثبت الله بها أقدام بقية القلاع، وقلعة الجبل وإياها كالأختين[(٢)].

وبحلب عدة قلاع، ومن أهمها قلعة الروم، والتي عرفت فيما بعد بإسم قلعة المسلمين[(٣)]، كما أن صفد[(٤)] لها قلعة قل أن يوجد لها شبيه، وهي قلعة حصينة على جبل تحتف به جبال وأودية[(٥)]، وكذلك تُوجد قلاع بكل من صرخد[(٦)] وحمص[(٧)] والرحبة[(٨)] وبعلبك[(*)][(٩)].

---

(١) ابن ناظر الجيش، تقى الدين عبد الرحمن بن محب الدين الحلبي: تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق: رودلف فسلى، القاهرة، العهد الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٨٧م، ص١٠٦.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى فى صناعة الإنشا. تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج١٢، ص٢٤، ص٢٥.

(٣) العمري: مسالك، م٣ ص ٣٢٧.

(٤) صفد: مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهي من جبال لبنان."ياقوت الحموي، أبو عبد الله: معجم البلدان، دار الفكر– بيروت، د.ت، ج٣، ص ٤١٢".

(٥) ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، مصر، ١٣١٢هـ، ص ١٨٢.

(٦) صرخد: بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق، وهي قلعة حصينة، وولاية حسنة واسعة ينسب إليها الخمر، "ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣ ص٤٠١".

(٧) حمص: بلد مشهور قديم بين دمشق وحلب، وبه قلعة حصينة، وبه الكثير من المزارات والمشاهد كمشهد على بن أبي طالب "كرم الله وجهه". "ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص ٣٣٤ ص ٣٣٦".

(٨) الرحبة: قرية من قرى دمشق، بينها وبين دمشق مسيرة يوم." ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٣، ص٣٣ ص٣٤".

(*) بعلبك: مدينة قديمة، فيها أبنية عجيبة وآثار وقصور عظيمة، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام، وبعلبك اسم مركب من بعل: وهو اسم صنم، وبك: من بك عنقه أي دفنها. "ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٤٥٣".

(٩) العمري: التعريف، ص١٧٩ ص ١٨٠.

والقلعة بها المساجد والحوانيت والأسواق[1]، وبها مساكن لأكابر الأمراء، وبها ديوان الجيوش، وديوان الأموال، وبها الحبس والأسرى، كما أن بها دار الوزراء و(دار النيابة)[2].

إذن فقد كان لابد للقلعة من نائب، والنيابة: مصدر للفعل ناب، وهو فعل ثلاثي، ومنه اشتق لفظ نائب من ناب ينوب فهو نائب، والألف فيه منقلبة عن واو، ويقال: ناب فلان عن فلان ينوب نوبا ومنابا، وإذا قام مقامه فهو نائب، وصارت لقبًا على من ينوب عن شخص آخر أعلى منه، سواء في أعماله كلها، أو فى عمل من أعماله[3].

والنائب هو المتصرف المطلق فى كل أمر، ويبطل تصرفه بحضرة السلطان[4]، فهو لقب للقائم مقام السلطان في عامة أموره أو غالبها[5]، أما

---

(١) المقريزي: الخطط، م٣ ص ٦٥٢.

(٢) العمري: مسالك، ج٣، ص٢٩٠ ص٢٩١./ كازنوافا: تاريخ ووصف القلعة، ص١٥١.

(٣) حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، القاهرة،١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، ج ٣، ص١٢٢٠./ محمد عبد الغني الأشقر: نائب السلطنة المملوكية فى مصر من (٦٤٨ – ٩٢٣ هـ/ ١٢٥٠ – ١٥١٧م) القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م، ص٢٣./ زين العابدين شمس الدين: معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية، ط١، القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص٥٢٤.

(٤) العمري: مسالك، ج٣ص ٢٧٢ ص ٢٧٣.

(٥)محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكي، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص ١٤٩.

نائب القلعة فهو الذي يشرف على القلعة، وهو فى مرتبة أقل من مرتبة نيابة السلطنة(١).

وأصل نيابة القلعة (إمرة عشرة)(*)(٢)، وقد ذكر ابن تغرى بردي: أن وظيفة نائب القلعة كانت من الوظائف التي لا يليها إلا أمير مائة مقدم ألف(٣)، حتى تنازل الملوك والسلاطين شيئًا فشيئًا، فأسندها بعضهم إلى الأجناد(٤).

ونائب القلعة يتم اختياره بعناية بالغة على صفات يشترط توافرها فيه، فإذا ما تم اختياره فإنه تسند إليه المهام الموكلة به، وتُسدى إليه النصائح من قبل السلطان، أما من جانبه هو فإنه يتعهد بتنفيذ ما أوكل إليه من مهام ويقوم عليها خير قيام.

---

(١) محمد قنديل البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣، ص٣٤٥.

(*) إمرة عشرة: أمراء العشرات إمرة كل منهم عشرة فرسان، وربما كان فيهم من له عشرون فارساً، ولا يعد إلا في أمراء العشرات، وهذه الطبقة لا ضابط لعدة أمرائها، بل تزيد وتنقص. "القلقشندي: ضوء الصبح، ص٢٤٥".

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٤٢.

(٣) أمير مائة مقدم ألف: أمراء المئين هم مقدموا الألوف، وعدة مضافات كل منهم مائة فارس، وربما زاد الواحد منهم العشرة والعشرين، وله التقدمة على ألف فارس ممن دونه من الأمراء، وهذه الطبقة أعلى مراتب الأمراء على تفاوت درجاتهم "القلقشندي: ضوء الصبح، ص٢٤٤".

(٤) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة. تحقيق: جمال الدين الشيال، فهيم محمد شلتوت، ط٢، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦م، ج ١٦، ص ٧٤.

صفات نائب القلعة:

العناية بالحصون والقلاع توجب أن يختار لها من يوصف بالحذق واليقظة وقوة الحزم وشدة التحرز، والمعرفة بأحوال الحصار، وضروب القتال، وطرق التحصين والمدافعة، مَلِيّ بحفظها، حسن المرابطة، مبرأ من الأفعال الساقطة، ذي القلب القوي، الكاتم الأسرار، ذي ثقة وكفاءة، سديد الرأي، فطن أمين، حسن الطاعة، له همة وعزيمة، ومعرفة وكفاية، ورعًا فارسًا، مخلص مجتهد.(١)

مراسيم التولية:

ونواب القلاع ولايتهم تكون من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف يصدر عن ديوان الإنشاء، وليس لنواب البلاد على نواب القلاع حكم(٢)، فإذا ما استقر السلطان على من تتوافر فيه الصفات المطلوبة لنيابة القلعة، فإنه يكتب له مرسوم شريف على الورق المنصوري(٣)، والكتابة تكون إما في قطع

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى ج١١ ص ٨٧، ج ١٢ ص ١٥٢ ص ١٥٣.

(٢) القلقشندي: ضوء الصبح ص ٣١٣ ص ٣٢٣./ حسن الباشا: الفنون، ج٣، ص١٢٦٢.

(٣) الورق المنصوري: أوفى الأوراق قطعًا وأعظمها حجمًا، وتسمى الورقة الواحدة منه فرخة، والدست خمس وعشرون ورقة، والرزمة خمس دسوات "السحماوي، شمس الدين محمد: الثغر الباسم فى صناعة الكاتب والكاتم المعروف باسم (المقصد الرفيع المنشا الهادي لديوان الانشا للخالدي). تحقيق: أشرف محمد أنس، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ج٢، ص٥٤٩".

النصف(*)[1] أو قطع الثلث(*)[2]، فإن كان نائب القلعة مقدم ألف كتب له بـــ "المجلس العالي"[3]، أو طبلخانة كتب له بـــ "السامي"، بغير ياء[4]، وإن كـــان عشرة فيكتب الإسم و "مجلس الأمير"[5].

وصيغة ذلك: "رسم أن يكتب مرسوم شريف بأن يستقر المجلس العالي/السامي/ ومجلس الأمير "الفلاني فلان الفلاني أدام الله تعالى نعمته في وظيفته نيابة القلعة – وتسمى القلعة – على عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته بالمستمر حكمها إلى آخر وقت والتاريخ والمشيئة"[6].

وإذا كان السلطان يكتب إلى نائب السلطنة بكل جليل وحقير وصغير وكبير من المهمات، فإن نواب القلاع لا يكتب إليهم في المهمات والأمور السلطانية، فإن كتب إليهم السلطان، فإما أن يكون في مثال شريف مفرد

(*) قطع النصف: من أوراق الطومار الكامل المنصوري، وعرضه نصف ذراع بذراع القماش، وفيه تكتب بعض التقاليد والتفاويض والمناشير. "السحماوي: الثغر الباسم، ج٢، ص ٥٥٠".

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٢، ص٢٣.

(*) قطع الثلث: من الطومار المنصوري الكامل، وعرضه ثلث ذراع، وفيه تكتب غالب التواقيع والمراسيم الصغار لنواب القلاع "السمحاوي: الثغر الباسم، ج٢، ص٥٥٠".

(٢) السحماوي: الثغر الباسم، ج٢، ص٥٥٠.

(٣) ابن ناظر الجيش: التثقيف ص ٩٨/ القلقشندي: ضوء الصبح، ص٣٧٦.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٢، ص٢٤.

(٥) ابن ناظر الجيش: التثقيف، ص ١٠٥.

(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٧، ص١٩٩/ السحماوي: الثغر الباسم، ج١، ص٣٦٠.

لأحدهم، وهو عبارة عن أمر يصدر عن ديوان الجيش بمنح إقطاع أو بتحويله أو بإعادته أو بزيادته، وكذلك بأن يكتب مثال مفرد فى البُشرى بوفاء النيل(١).

وإما أن يكتب مطلق شريف عام لجميعهم أو بعضهم، والمطلق هذا عبارة عن رسالة يقال فيها: "مثال شريف مطلق إلى الولاة والنواب " أو غير ذلك، ويصرح بذكر المكتوب إليهم فى المطلق(٢).

وليست كل القلاع يكتب لنوابها، فمن يكتب له نائب قلعة دمشق، ونائب قلعة صفد(٣)، وحلب، وقلعة الروم(٤)، وقلعة صبيبة(٥)، وقلعة جعبر(٦)، وقلعة الكرك(*)(٧)، وصرخد(٨)، فتلك القلاع كان يكتب إلى نوابها.

---

(١) ابن ناظر الجيش: التثقيف، ص١١١.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٧، ص١٨٤.

(٣) العمري: التعريف، ص١٨٢/ السحماوي: الثغر الباسم، ج٢، ص٧١٤.

(٤) ابن ناظر الجيش: التثقيف، ص ١٠١.

(*) قلعة الصبيبة: قرية من قرى الشام، ولها قلعتها بين بانياس وتبنين، بناها الملك العزيز عثمان بن العادل. "الذهبي، محمد أحمد عثمان: العبر فى خبر من خبر. تحقيق: صلاح الدين المنجد، ط٢، مطبعة الكويت-الكويت، ١٩٨٤م، ج٥، ص١١٩".

(٥) السحماوي: الثغر الباسم، ج٢، ص٧٠١.

(٦) جعبر: على الفرات بين باليس والرقة قرب صفين، وكانت قديما تسمى دوسر، فملكها رجل يقال له جعبر بن مالك، وكان يخيف السبيل، ثم ملكها منه السلطان جمال الدين ملكشاه بن أرسلان. "ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص١٤٢".

(*) الكرك: اسم لقلعة حصينة فى أطراف الشام من نواحي البلقان، وهى على سن جبل عال، تحيط بها الأودية "ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ٤، ص ٣٦٢".

(٧) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٧، ص١٩١ ص ١٩٨.

(٨) العمري: التعريف، ص١٧٨.

مهام نائب القلعة:

ومهام نائب القلعة هي الواجبات التي عليه أدائها بحكم وظيفته، فعليه حفظ القلعة[١]، وعمارة ما دعت الحاجة إلى عمارته منها، وتفقدها بالترميم والإصلاح، والأخذ بقلوب من فيها[٢]، وجمعهم على الطاعة، والإحسان إليهم، وتحصين القلعة بالآت الحصار، وادخار آلات الحرب، وكذلك آلات أرباب الصنائع كآلات الحدادين وصناع القسى، وعليه أيضًا الاعتناء بغلق أبواب القلعة وفتحها[٣]، والمفاتيح تبيت عند النائب بعد ختم الوالي عليها، وإذا تسلمها يتسلمها بختمها أيضًا، ويقوم نائب القلعة بتفقد متجددات أحوالها في كل صباح ومساء، وإقامة الحرس وإدامة العسس، وتعرف أخبار المجاورين لها من الأعداء، وإقامة نوب الحمام بها لاستخدامه فى إيصال الرسائل[٤]، كما عليه حفظ أسوار القلعة[٥]، وألا يفتحها لغريب ولا لمتنكر، ويقوم بتفقد أحوال من فيها سرًا وجهرًا، وإلزام كل واحد بما يلزمه من الوظائف، وعليه صرف رواتبهم[٦]، وإظهار الصيت والسمعة بالاهتمام فى كل ليلة بضرب الحراس لنواقيسها، وصيانة ما فيها من حواصل، وتحصيل ما يحتاج إليه فيها من الزاد

(١) العمري: التعريف ص ٩٤/ البقلي: مصطلحات صبح الأعشى ص ٣٤٥.

(٢) العمري: التعريف ص ٩٥.

(٣) العمري: التعريف ص ٩٦/ ابن على الكاتب، شافع العسقلاني المصري: الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية – صيدا – بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص١٢٨.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١١ ص ٩٠ ص ٩١/ ضوء الصبح، ص ٣١٤.

(٥) العمري: التعريف ص ٩٥.

(٦) ابن على الكاتب: الفضل المأثور، ص١١٩.

والحطب والملح والفحم وغير ذلك، ولا يخزن غلة جديدة على عتيقة[١]، كما أن عليه صيانة ما فى القلعة من ذخائر، وما تشتمل عليه دار الضرب من أموال، وأموال الناس التي حملت إليها، وأن يلاحظ رجال القلعة، فعليه الأخذ بقلوبهم، وإيصال الحقوق إليهم، وجمعهم على طاعة السلطان، أيضًا عليه حفظ المعتقلين فى سجون القلعة ومباشرتهم، والتضييق عليهم إلا فى المأكل والمشرب، وعليه تفقد مريضهم ومعالجتهم[٢]، كما أن عليه ردع أهل الفساد، وأن يُطلع السلطان على جميع الأخبار بالقلعة، وكذلك يُطالع نائب السلطان عليها[٣].

النصح لنائب القلعة:

ويُسدي السلطان النصح والوصايا والإرشاد لنائب القلعة بما يصلح أمره وأمر وظيفته، فمن نصح السلطان لنائب القلعة: أن عليه أن يقدم العفو، ويتحلى بالقناعة، ويقوم بالعدل والإنصاف، وعليه بالتمسك بالشريعة وأحكامها، وملاك الوصايا تقوى الله، وهي أول ما يقدمه بين يديه، وأول ما ينبغى أن يصرف نظره إليه، فليجعل ذلك خلق نفسه، ومزية يومه على أمسه والخير يكون"[٤].

وأحياناً يعين لنيابة القلعة نائبان فيوصيهما السلطان بأن لا يتطلع أحدهما إلى ما فى يد الآخر من مال ولا عقار، ولا يُعارض أحدٌ أحدًا بلا سبب،

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٣، ص١٠٧ ص ١٠٨.

(٢) ابن على الكاتب: الفضل المأثور، ص١٢٩.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٢، ص٢٦ ص٢٧.

(٤) المصدر السابق، ج١٢ ص ١٩٥ ص ١٩٦.

وليتقوا الله ويخشونه، ويتجنبوا الباطل ولا يفشونه، ولا يظن أحد منهم أن قد بَعُد عن عين السلطان فيطرح إلى الظلم، أو يطمع، وليكونا على المصالح متفقين[١].

التعهد بتنفيذ المهام:

ويتعهد نائب القلعة بإخلاص الطاعة للسلطان عن طريق الحلف، إذ يتم تحليفه، فإذا انتهى إلى المحلوف عليه قال: "إنني من وقتي هذا قد أخلصت نيتي.. وأصفيت طويتي.. فى طاعة مولانا السلطان.. وفى خدمته ومحبته ونصحه، وأكون وليًا لمن والاه، عدوًا لمن عاداه، سلمًا لمن سالمه، حربًا لمن حاربه.. لا أضمر له سوءًا ولا مكروهًا ولا خديعة ولا خيانة فى نفس ولا مال ولا ملك ولا سلطنة ولا عساكر ولا جند ولا عربان ولا تركمان ولا أكراد ولا غير ذلك، ولا أسعى فى تفريق كلمة أحد منهم عن طاعته الشريفة، وإنني والله العظيم أبذل جهدي وطاقتي فى طاعة مولانا السلطان، وإن كاتبني أحد من سائر الناس أجمعين بما فيه مضرة على ملكه لا أوافق على ذلك بقول ولا فعل ولا عمل ولا نية"[٢].

ثم يتعهد نائب القلعة بعد ذلك بالتزامه بتنفيذ المهام الموكلة إليه ويحلف على ذلك فيقول: "وإنني أجمع رجال هذه القلعة على طاعة مولانا السلطان وخدمته فى حفظ القلعة وحمايتها وتحصينها والذب عنها والجهاد دونها والمدافعة عنها بكل طريق، وإنني أحفظ حواصلها وذخائرها وسلاح خاناتها،.. وإنني لا أخرج شيئًا منها إلا فى أوقات الحاجة والضرورة.. وإنني أكون فى

---

(١) المصدر نفسه، ج١٣، ص١٠٦.

(٢) العمري: التعريف ص ١٤٨ / السحماوي، الثغر الباسم، ج٢، ص ٨٩٩.

ذلك كواحد من رجال هذه القلعة.. لا أتخصص ولا أمكن من التخصيص، وإنني والله والله لا أفتح أبواب هذه القلعة إلا فى الأوقات الجاري بها عادة فتح أبواب الحصون، وأغلقها فى الوقت الجاري به العادة، ولا أفتحها إلا بشمس ولا أغلقها إلا بشمس، وإنني أطالب الحراس والدَّراجة وأرباب النوب.. بما جرت به العوائد اللازمة لكل منهم مما فى ذلك جميعه مصلحة مولانا السلطان، وإنني لا أسلم هذه القلعة إلا لمولانا السلطان أو بمرسومه الشريف.. وأوامره الصريحة، وإنني لا استخدم فى هذه القلعة إلا من فيه نفعها وأهلية الخدمة، لا أعمل فى ذلك بغرض نفس، ولا أرخص فيه لمن يحمل بغرض نفس له، وإنني أبذل فى ذلك كله الجهد" ويسمى القلعة التي هو فيها[١]، ويظهر من هذا الحلف والأيمان المغلظة التأكيد على أمرين: أولهما: إخلاص الطاعة للسلطان وتسمية ذلك وتحديد أمور ألزم بها نفسه للوصول إلى البر بحلفه، أما الأمر الثاني فهو: التزامه بتأدية المهام التي سماها السلطان له، فيعيد نائب القلعة فى تعهده تسميتها مرة أخرى، وفى ذلك زيادة فى التأكيد، وعزم على التنفيذ.

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى ج١٣ ص ٣٠٩/ على إبراهيم حسن: تاريخ المماليك البحرية وفى عصر الناصر بوجه الخصوص. القاهرة. مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٤م، ص ٢٦٣.

وكان وصول نائب القلعة إلى مقر عمله لتسلم وظيفته ومباشـرتها يومًـا مشهودًا، إذ يخرج رجال الدولة ونوابها وحجابها وقضاتها لاستقباله، ويخلـع عليه نائب البلد الخلع، وذلك في احتفال مشهود[1].

وتندر المعلومات المتعلقة بنواب القلاع بصفة عامة، ما خلا قلعتي الجبل بالديار المصرية وقلعة دمشق بالشام بصفة خاصة إلى حد الإنعدام، وإن توافر عنهم شئ فالقليل الذي لا يسمن ولا يغني الباحثين، والذي يتراوح بين الاسـم وتاريخ الوفاة وقولهم: "وكان رجلاً جيدًا"، "وكان مشكور السيرة"[2]، فلم تحفظ كتب التاريخ أسماء نواب القلاع ولا بيانات عنهم، اللهم إلا القليل، حتى إنه قد يذكر تاريخ سنة وفاته دون اسمه، برغم أن بعض المؤرخين حينما دونـوا تاريخهم بالطريقة الحولية فإنهم كانوا يستفتحون أحداث العـام بـذكر اسـم السلطان وذكر أسماء أمراءه ونوابه وحاشيته، إلا أن هذا التدقيق لم يحدث فيما يخص ذكر نواب القلاع إلا نادرًا.

وتتمحور مهام نائب القلعة حول شقين أساسـين، الأول: دوره السياسـي والعسكري فى حفظ القلعة، أما الثاني: فدوره الاجتماعي في صوره المتعددة.

---

(١) ابن الحمصي، شهاب الدين أحمد بن عمر: حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. المكتبة العصرية. صيدا – بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ج١ ص ١٤٧ ص١٤٨.

(٢) البرزالي، القاسم بن محمد الإشبيلي الدمشقي: المقتفى على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، المكتبـة العصـرية – صـيدا – بيروت، ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦م، ج٢، ق٢، ص١٤٨.

الدور السياسي والعسكري لنائب القلعة:

يعد اهتمام السلطان بتعيين نائب للقلعة من الأمور المهمة بعد فتح القلاع، وذلك لحفظها والقيام على أمرها، ففي ٦٦٤هـ/١٢٦٦م خرج السلطان الملك الظاهر بيبرس[١] إلى صفد للإغارة عليها، فلما وصلها ضرب الحصار عليها حتى طلب أهلها الأمان، فأمنهم على شروط منها: ألا يستصحبوا معهم مالاً ولا سلاحًا، ويفتشوا عند خروجهم، فتم ذلك، واستولى السلطان على صفد، وبدأ فى ترتيب أمورها، إذ أمر بعمارتها وتحصينها، ونقل إليها الذخائر والسلاح، وعين الأمير مجد الدين الطوري نائبًا لقلعتها[٢].

كما فعل هذا أيضًا عند فتحه حصن الأكراد[٣] فى ٦٦٩ هـ/ ١٢٧١م قهرًا بعدما نصب عليه المنجانيق ودخله حبيشه، فأطلق السلطان بيبرس أهله، وتسلم القلعة وولى فيها نائبًا لحفظها[٤].

---

(١) الظاهر بيبرس: الجاشنكير، الثاني عشر من ملوك الترك بالديار المصرية، بويع بالسلطنة بعد خلع الملك الناصر محمد بن قلاوون فى ٧٠٨هـ/١٣٠٨م، فلبس خلعة السلطنة وضج الناس له بالدعاء. "ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي: بدائع الزهور فى وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، ط٣، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م ، ج١، ص٤٢٣".

(٢) ابن أيبك الدوداري، أبو بكر بن عبد الله: كنز الدر وجامع الغرر (الدرة الزكية فى أخبار الدولة التركية)، تحقيق: أولرخ هارمان، القاهرة، المعهد الألماني للآثار، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ج٨، ص١١٧.

(٣) حصن الأكراد: حص منيع على الجبل الذي يقابل حمص من جهة الغرب، وهو جبل الجليل المتصل بجبل لبنان، وبين حصص الأكراد وحمص يوم. "ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٢٦٤".

(٤)ابن كثير، أبو الفدا الحافظ الدمشقي: البداية والنهاية، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ج٩، ص١٩٦.

كذلك كان على نائب القلعة الزود عنها ودفع أي خطر محتمل فى غياب السلطان، وألا يمكن أحدًا منها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وذلك مثلما حدث فى ٦٧٨هـ/١٢٧٩م فى سلطنة الملك السعيد بن الظاهر بيبرس[١]، حينما وقع الخلاف بين الخاصكية[٢] بدمشق، وعجز السلطان عن تلافي ذلك والقضاء على الخلاف، فانقسم أمراء دمشق قسمين: قسم مع السلطان، وقسم ضده، فأما الذين ضده فقد قرروا الذهاب إلى مصر واقتحام قلعتها، وتفاديًا لذلك اقترح بعض الأمراء على الملك السعيد إبعاد الخاصكية عنه وتفريقهم، فلم يجب إلى ذلك عجزًا عنهم، فما كان من الأمراء المنقسمين على السلطان إلا أن رحلوا إلى مصر، فأرسل ورائهم، ولكنه لم يلحقهم، فانطلق السلطان فى اليوم التالي مسرعًا إلى مصر خوفًا من اقتحام هؤلاء الأمراء قلعة الجبل[٣]، إلا أنهم قد

(١) الملك السعيد: محمد بن بيبرس، تسلطن فى حياة والده، واستمر على ذلك حتى ملك الديار المصرية بعد موت والده وعمره ثماني عشرة سنة، وتم أمره إلى أن طاح عن فرسه، فحُمّ أيامًا ثم توفى ٦٧٨هـ/١٢٧٩م. "ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف: الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق: محمد فهيم محمد شلتوت- القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٩م، ج٢، ص٦٠٩.

(٢) الخاصكية: هم طائفة اصطفاهم الملك الأشرف خليل وهذبهم وخالطهم بالمحبة والصهر، ورشحهم للمراتب، وولي بعضهم، وكان الأكابر من أهل الدولة يفضون إليهم بحاجاتهم ويتوسلون بمساعيهم. "ابن خلدون، عبد الرحمن المغربي: العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة الأعلمي – بيروت – لبنان، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ج٥ ص ٥٢٦".

(٣) بيبرس الدودار: زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة. تحقيق: زبيدة محمد عطا، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠١م، ص١٧١.

وصلوا قبله، وحاولوا بالفعل اقتحام القلعة، ولكن نائبها الأمير عز الدين الأفرم[١] قد صدهم عنها بعد قتال والتحام، ولم يفتح لهم أبوابها، فلما وصل السلطان فتح عز الدين الأفرم القلعة له، واستؤنف القتال من السلطان وعسكره ضد الأمراء الخارجين عليه[٢]، حتى انتهى الأمر بأن خلع الملك السعيد نفسه[٣].

وليس لنائب القلعة أن يطيع أحدًا فى أمر ما لم يكن هذا الأمر صادرًا من جهة السلطان أو نائبه بعد مطالعة السلطان أيضًا، ففي الفتنة السابقة التي خلع فيها الملك السعيد نفسه بعد أن خذله أمراءه، فقد فر أحد هؤلاء الأمراء، وهو الأمير عز الدين أيدمر الظاهري النائب المعروف بملك الأمرا[٤] لخذلانه

---

(١) عز الدين الأفرم : نائب قلعة الجبل، كان من كبار الدولة المصرية، له أموال كثيرة وأملاك عظيمة، وكانت فيه خبرة وشجاعة. "الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الارناؤوط/ تركي مصطفى، دار احياء التراث- بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج٩، ص٢٦٨".

(٢) الدوداري: كنز الدرر، ج ٨، ص ٢٢٨ ص ٢٢٩.

(٣)الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، ج١، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج١٥، ص٢١٠./ المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٧م، ج١، ص٦٥٦.

(٤) أيدمر الظاهري: ملك الأمراء عز الدين أيدمر الظاهري، عمل نائبًا لدمشق، ثم حبس وأطلق، فلبس عمامة مدورة، وسكن بمدرسته، توفى ٧٠٠هـ/١٣٠٠م. "عبد القادر بدران: منادمة الأطلال، تحقيق: زهير الشاويش، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت – ١٩٨٥م، ج١، ص ٢٨٤".

السلطان، وظلمه أمراء الشام، فلما أمسكوه سلموه لنائب قلعة دمشق[1] الأمير علم الدين سنجر الدواداري[2] -وكان قد استنابه الملك السعيد عليها مدة غيبة نائبها عز الدين الأفرم[3]- فكان أن مكنه سنجر الدواداري من العبور والخروج، فلما علم الأمراء ذلك أنكروا على الدواداري فعله، فقال لهم: "ما جاني مرسوم من السلطان فى أمره بشيء ولا لكم أيضًا، وقد مسكتوه أنتم بأيديكم"[4]، فاشتدوا عليه فى الكلام، فقام مغاضبًا وأمر بتجريد السيوف لمحاربة هؤلاء الأمراء، وغلقت أبواب القلعة، وخاف الناس، وظل الأمر على ذلك حتى تم تعيين الأمير شمس الدين سنقر الأشقر[5] نائبًا لدمشق، فأمر علم الدين سنجر الدواداري أن يُسلم القلعة، ففعل وسلم القلعة[6].

---

(١) المقريزي : السلوك، ج ٥١، ص٦٥٧.

(٢) علم الدين سنجر الدوداري: تولى نيابة قلعة دمشق فى عهد الملك السعيد، ولما خلع السعيد وتولى عوضه أخيه العادل سلامش، أقر سنجر الدوداري فى نيابة القلعة. "ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٢٨٨".

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ١٥، ص ٢١٢.

(٤) الدوداري: كنز الدرر، ج٨، ص٢٣٠.

(٥) سنقر الأشقر: الأمير سيف الدين، بويع بالسلطنة فى دمشق بعد خروجه عن طاعة السلطان المنصور، ولقب بالكامل، وملك قلعة دمشق إلى أن انكسر، وملك الأمير علم الدين سنجر الحلبي دمشق منه. "ابن تغري بردي: النجوم، ج٨، ص٨٥".

(٦) العيني، بدر الدين محمود: عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان. تحقيق: محمد محمد أمين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج٢، ص٢٢٤.

وقد يعين السلطان لنائب القلعة مساعدًا له مثلما فعل السلطان الملك المنصور قلاوون[١]فى ٦٧٨ هـ/ ١٢٧٩م حينما صدر أمره بأن يكون الأمير حسام الدين لاجين نائبًا بقلعة دمشق[٢]، وأن يكون بيبرس الجالق[٣] مساعدًا له فيما يفعله بقلعة دمشق، وكان الجالق فى ذلك الوقت من أكبر أمراء دمشق ومقدميها، فرسم السلطان للأمير حسام الدين لاجين النائب بقلعة دمشق ألا يخرج عن كلام بيبرس الجالق ولا عن أمره[٤].

وقد عُرف حسام الدين لاجين بأنه شاب خير، كثير الدين والكرم والشجاعة، يحب العلماء والصلحاء، ويسير بالعدل والإنصاف والتواضع فى

(١) المنصور قلاوون: تولى سلطنة المماليك فى ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م، وخطبت له المنابر المصرية والشامية، وضربت السكة باسمه، وجرت الأمور بمقتضى رأيه، ورفع قدر عتقائه، وصيرهم ولاة الأمور وقادة العساكر، توفى ٦٨٧هـ/١٢٨٨م."العيني: عقد الجمان، ص ٢٢٦ ص ٢٢٧".

(٢) ابن خلدون: العبر، ج٥، ص٣٩٦/ ابن صصري، محمد بن حمد: الدرة المضيئة فى الدولة الظاهرية. تحقيق: وليم م. برينر، بركلي – كاليفورنيا، ١٩٦٣م، ص١٨١.

(٣) بيبرس الجالق الصالحي العجمي، كان أميرًا في زمن الصالح أيوب، ثم فى أيام الظاهر بيبرس، كان موسرًا يمتلك أموالاً جمة، شجاعًا مقدامًا، توفى ٧٠٧هـ/١٣٠٧م "العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر: الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، ط٢، حيدر أباد، الدكن، الهند، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ج٢، ص٤٩".

(٤) ابن عبد الظاهر، محي الدين أبو الفضل عبد الله: تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور (٦٧٨هـ– ٦٨٩هـ). تحقيق: مراد الكامل/ محمد علي النجار، ط١، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي،١٩٦١م، ص٦٠/ الخزنداري، قرطاي العزي: تاريخ مجموع النوادر مما جرى للأوائل والأواخر. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية – صيدا – بيروت، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٢٦٨.

الرعية[١]، بالإضافة إلى كلمته النافذة وطاعته السلطان[٢]، إلا أنه على ما يبدو أن ما تميز به لاجين من هذه الصفات جعل سنقر الأشقر النائب على دمشق يحترز منه ويخافه[٣]، ويبدو أن ذلك الخوف وذاك الاحتراز سببه ما كان ينتويه سنقر الأشقر من الخروج على السلطان[٤]، فأشاع مقتل المنصور قلاوون وقام باقتحام قلعة دمشق، ودعا الأمراء إلى طاعته، فأجابوه وحلفوا له، وقام بالقبض على من لم يحلف له من الأمراء، ومنهم الأمير حسام الدين لاجين نائب القلعة، وكذلك بيبرس الجالق مساعده[٥]، وولي نائبًا على القلعة من جهته، وهو الأمير سيف الدين الجوكندار[*][٦]، فلما علم السلطان المنصور

---

(١) البزرالي: المقتفى، ج١، ق١، ص٤٨٠.

(٢) ابن عبد الظاهر: تشريف، ص٧٢.

(٣) ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم: تاريخ ابن الفرات. تحقيق : قسطنطين زريق – نجلا عز الدين – بيروت – المطبعة الأميركانية، ١٩٣٩م، ج٧، ص ١٦٢.

(٤) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، ط ٣، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٣٩هـ/ ٢٠٠٨م، ج٣١، ص١٨.

(٥) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٢٤٣/ اليونيني، قطب الدين موسى بن محمد: ذيل مرآة الزمان، ط١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن – الهند ، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م، ج٤، ص٤٢.

(*) الجوكندار: وهو الذي يحمل الجوكان وهو المحجن الذي تضرب الكرة به. "السبكي، تاج الدين عبد الوهاب: معيد النعم ومبيد النقم. تحقيق: محمد على النجار وآخران، ط٢، القاهرة. مكتبة الخانجي، ١٤١٣ه/١٩٩٣م، ص٣٥".

(٦) سيف الدين الجوكندار: كان نائبًا على قلعة صفد في نوبة غازان، فلما هُزِم المسلمون، وهرب الأمراء، جاء بيبرس الجاشنكير وسلار إلى صفد، وطلبا منه مركوبًا يحملهما عليه، فلم يجبهما، فلما وصلا مصر عزلاه عن نيابة صفد وجهزوه إلى دمشق. "الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك: أعيان العصر وأعوان النصر. تحقيق: على أبو زيد وآخرون، ط١، دار الفكر – سورية – دمشق ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، م٢، ص٤٤".

قلاوون بذلك أرسل جيشاً على رأسه علم الدين سنجر الحلبي[١] إلـــى دمشـــق لمحاربة سنقر الأشقر، فانهزم سنقر وفر هاربًا[٢]، وتوجه علم الـــدين ســـنجر الحلبي إلى قلعة دمشق وطلب من نائبها سيف الدين الجوكندار أن يطلق سراح حسام الدين لاجين وبيبرس الجالق، فاستجاب[٣]، وأطلق ســـراحهما بعـــد أن حلفهما أنهما لا يؤذيانه إذا أخرجهما، ولا يؤذيا أحدًا من المستخدمين بالقلعة، فحلفا له، فأخرجهما من الاعتقال[٤]، وكان أن أرسل السلطان قلاوون تقليـــدًا بنيابة دمشق إلى حسام الدين لاجين المنصوري[٥]، وهكذا تدرج حسام الـــدين لاجين من نائب قلعة دمشق إلى نائب السلطنة بدمشق بعدما ظهـــر إخلاصـــه وطاعته للسلطان، ورفض التمرد عليه مع نائب البلد سنقر الأشقر، ثـــم لمـــا تولى حسام الدين نيابة دمشق؛ فإنه جعل على القلعة ســـيف الـــدين ســـنجار المنصوري نائبًا لها[٦].

ونائب القلعة يكون حريصًا على علاقته بالسلطان، ولا يسمح لهذه العلاقة أن تشوبها شائبة، وأن يكون لديه من حسن تصريف الأمور ما يجعله يتفادى

---

(١) علم الدين سنجر الحلبي: كان نائبًا لقطز على دمشق، فلما جاءته بيعة الظـــاهر دعـــا لنفسه، وتسمى بالملك المجاهد، ثم حوصر وهرب إلى بعلبك، فقبض عليه، ثم أطلق. توفى ٦٩٢هـــ/١٢٩٢م. "ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٣٣٤".

(٢) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ج٧ ص ١٧٠/ الخزنداري: النوادر، ص ٢٧٣.

(٣) ابن أبي الفضائل، مفضل: النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، تحقيق: بلوشت ادجار، فرنسا – باريس، ٢٠٠٤م، ج٢، ص٤٨١.

(٤) النويري: نهاية الأرب، ج٣١، ص١٩.

(٥) ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام ص ٧١/ الـــدواداري: كنـــز الـــدرر ج٨ ص ٢٣٨/ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٥ ص ٢١٥.

(٦) الصفدي: أعيان العصر، ج٢ ص ٤٤/ ابن خلدون: العبر ج ٥ ص ٣٩٦.

وشاية الواشين، مثلما كان الأمير بيدرا[١] نائب قلعة الجبل من جهة السلطان الأشرف خليل[٢]، والتي ولّاها له فى ٦٩٢هـ/١٢٩٢م[٣]، إذ إن السلطان وجد لبيدرا كثيرًا من الحواصل والغلال فى الوقت الذي كانت فيه الشون السلطانية فارغة، فعمل ابن السلعوس[٤] على تغير قلب السلطان على بيدرا، فلما بلغ

---

(١) الأمير بيدرا: أحد مماليك السلطان المنصور قلاوون، تنقلت به الأحوال إلى أن صار وزيرًا للملك المنصور حتى وفاته، واستمر بيدرا في وظيفة الوزارة فى عهد الأشرف، ثم جعله الأشرف نائب السلطنة، قتل ٦٩٣هـ/١٢٩٣م "ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات مج ٨ ص ١٨٨".

(٢) الأشرف خليل: تولى سلطنة المماليك ٦٨٩هـ/١٢٩٠م، كان ملكًا مهيبًا كامل الشجاعة، وافر الكرم، قتل غدرًا فى رحلة للصيد ٦٩٣هـ/١٢٩٣م. "ابن حبيب، الحسن بن عمر: تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه. تحقيق: محمد محمد أمين، القاهرة، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٦م، مج ١ ص ١٦٧".

(٣) العيني: عقد الجمان ج٣ ص ١٥٢/ الخزنداري: النوادر ص ٣٢٥. في حين قال بعض المؤرخين: إن بيدرا أصبح نائب الديار المصرية وليس نائب القلعة. "ابن دقماق، ضياء الدين إبراهيم بن محمد: النفحة المسكية فى الدولة التركية من كتاب الجوهر الثمين فى سير الخلفاء والملوك والسلاطين. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩م، ص٨٩./ ابن سباط، حمزة بن أحمد بن عمر الغربي: صدق الأخبار. تاريخ ابن سباط، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس، لبنان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ج١، ص٤٩٤.

(٤) ابن السلعوس: شمس الدين محمد الدمشقي التاجر الكاتب، ولي حسبة دمشق فأحسن السيرة، ثم ولي الوزارة، وكان يكثر الصيام والذكر، فلما تولى الوزارة قيل: إنه تكبر على الناس، توفى ٦٩٣هـ/١٢٩٣م. "الحنبلي، العماد أبو الفلاح عبد الحي: شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، القاهرة، مكتبة القدس، ١٣٥١م، ج ٥، ص ٤٢٤".

بيدرا ذلك، ولكي يخفف ما في قلب السلطان عليه، وما سعى به ابن السلعوس ضده، فإنه استقبله حين عودته من خروجه للصيد بأحسن استقبال وضـــيافة، وفرش له الحرير[1]، وما كل ذلك إلا لتلافي ســـعي ابـــن الســـلعوس لوغـــل الصدور ما أمكنه.

ويبدو أن الملك الأشرف فى بعض الأحيان لم يكن يُعطي ويحفظ لنائـــب القلعة مكانته من التبجيل والاحترام، حتى وصل الأمر إلى إنه قد يأمر بإلقـــاء القبض عليه وحبسه وضربه دون جريرة أو ذنب، ومن ذلك ما وقع للأميـــر علم الدين سنجر أرجواش نائب قلعة دمشق في ٦٩٠هـــ/١٢٩١م مـــن إلقـــاء القبض عليه بأمر من الأشرف خليل[2]، والسبب فى ذلك أن أرجواش لم يكن له فى المزح ولا اللعب، ولم يكن أحد يقدر على المزح معه، وقد ذُكِـــر عنـــد الأشرف خليل بخلقه ووسوسته وتفرده عن الناس، وقُصت للأشرف الحكايات عنه، فأراد السلطان أن يمزح معه وكان حاضرًا عنده، فأشار إلى أحـــد مـــن خاصكيته أن يقف خلف أرجواش ويدس بيده فى مخرجه، ففعل، فالتفت إليـــه أرجواش ولكمه، فصاح السلطان عليه وقد بدا عليه الضحك وقال له: "ويلـــك تلكم مملوكي! ماذا فعل بك؟ فقال: " نحن ما تعودنا بشئ من ذلك ولا رأينـــاه، ولكن صرنا فى آخر زماننا مسخرة"، فغضب منه السلطان، وأمر بأخذ ســـيفه وضربه، واعتقل بالقلعة، وأخذوا من أمواله نحو سبعين ألف درهـــم وثلاثـــة آلاف دينار، وباعوا سلاحه وقماشه[3].

---

(١) العيني: عقد الجمان، ج٣ ص ١٥٢ ص ١٥٣.

(٢) البرزالي: المقتفى، ج١ ق٢ ص ٢٣٧.

(٣) العيني: عقد الجمان ج١ ص ٦٧ ص ٦٨.

في حين ذكر كل من ابن الفرات والنويري رواية أخرى لمزح السلطان مع أرجواش، حيث ذكرا أن الأمير شرف الدين بن الخطير الرومي[1] كان كثير المزاح على الأمراء عند الأشرف خليل بقصد اضحاكه، وكان يومًا وقف فيه أرجواش بين يدي الملك الأشرف، فنظر السلطان إلى ابن الخطير وأومأ إليه أن يمزح على أرجواش، وكان أرجواش قد أصيب من قبل بسهم فى عينه فبقى بعين واحدة، فنظر إليه ابن الخطير وقال للسلطان" "كان لوالد المملوك بالروم حمار أشهب أعور أشبه شئ بهذا الأمير علم الدين أرجواش"، فضحك السطان، أما أرجواش فقد غضب وقال: "هذه صبيانيه"، فغضب منه السلطان، وأمر بالقبض عليه وضربه، وأخذ الكثير من ماله وحبس بالقلعة، ثم أمر السلطان بحمله على خيل البريد إلى الديار المصرية مقيدًا، إلا أنه تم التشفع له عند السلطان، فَرُد من الطريق[2] ثم أفرج السلطان عنه[3]، وأعاده إلى نيابة القلعة[4]، فدفع أرجواش الثمن غاليًا لا لشيء إلا لأنه لم يوافق السلطان فى مزحه.

---

(١) شرف الدين بن الخطير الرومي: أحد الأمراء الذين توجهوا مع الأشرف خليل إلى قلعة الروم لمنازلة الروم بها، فحاصرها الأشرف مدة، ثم فتحها، واستشهد فى الفتح الكثير من الأمراء، وكان منهم ابن الخطير الرومي وذلك فى ٦٩١هـ/١٢٩١ "ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣ ص ٣٢٧".

(٢) تاريخ ابن الفرات ج٨ ص ١١٩/ نهاية الأرب ج٣١ ص ٢١٠ ص٢١١.

(٣) البرزالي: المقتفى ج ١ ق ٢ ص ٢٥٢/ الصفدي: أعيان العصر، ج٢ ص ٤٦٦.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم، ج٨ ص ١١.

على أن علم الدين أرجواش قد أظهر من الكفاءة فى إدارة القلعة ما لم يقم به غيره وذلك حين قُتل السلطان لاجين[1]، وكانت بلاد الشام بدون نائب فى هذا الوقت لفرار نائبها، فقام أرجواش بأعباء البلد، ومسك بعض الأمراء المتمردين وأودعهم فى الحبس[2]، فلما تسلطن الملك الناصر محمد[3] بويع له بدمشق بحضرة أرجواش، ثم عين الناصر نائبًا له على دمشق، واستمر أرجواش فى نيابة القلعة[4]، وهكذا أحسن أرجواش التصرف فى أمور دمشق وهي خالية من النائب وكذلك البلاد خالية من السلطان، فبدا وكأنه كنائب السلطة يتصرف كيفما شاء بسلطات واسعة، ولم يجد غضاضة فى أن يتخذ معاونًا له ومساعدًا لمباشرة الأمور، حتى بُويع الناصر بالسلطنة، فرجع أرجواش يلتزم صدور عمله كنائب للقلعة مرة أخرى بعد انتهاء الأزمة.

---

(١) السلطان لاجين: حسام الدين بن عبد الله المنصوري، أصله من مماليك المنصور قلاوون، ولاه نيابة دمشق، ولما تولى الملك الأشرف على مصر قام بعزل لاجين، وقبض عليه، ثم أطلق سراحه، وقد تنقل به الحال إلى أن ملك الديار المصرية من ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م بعد خلع الملك العادل كتبغا، توفى لاجين فى ٦٩٨هـ/١٢٩٨م. "ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين: مورد اللطافة فى من ولي السلطنة والخلافة. تحقيق: نبيل أحمد عبد العزيز – القاهرة – دار الكتب المصرية، ١٩٩٧م، ص٥١".

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ج٩ ص ٢٨٣./ ابن الجزري، محمد إبراهيم القرشي: حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١ المكتبة العصرية – صيدا – بيروت، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٦م، ج١، ص٤٣٣.

(٣) الملك الناصر محمد، التاسع من ملوك دولة الترك بالديار المصرية، ولد ٦٨٤هـ/١٢٨٥م، وجلس على عرش السلطنة بعد مقتل أخيه الأشرف ٦٩٣هـ/١٢٩٣م وعمره يومذاك تسع سنين، دانت له ملوك الأرض، وأغرق الناس فى عطاياه إلى أن هلك عنه سلطانه. "الصفدي: أعيان العصر، ج٥ ص٧٤ ص٧٥".

(٤) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٤٥٤/ ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات ج٨ ص١٢٠.

وعظم أرجواش وقوة شخصيته وإخلاصه لعمله وعدم خوفه العدو ظهر واضحًا جليًا حينما لم يخش التتار، وتصدى لهم فى وقت خاف فيه الجميع من التتار وانحازوا لهم.

وبيان ذلك أنه فى ٦٩٩هـ/١٢٩٩م فر الأمير قبجق[١] إلى التتار يحسن لهم القدوم إلى دمشق، فركب التتار لمحاربة المسلمين فى وادٍ يعرف بوادي الخزندار فى مجمع المروج بين حماة وحمص[٢]، فخرج إليهم السلطان الناصر بجيشه حتى هُزم، وولى هاربًا بجيشه نجاة بأنفسهم إلى حيث الديار المصرية[٣]، واستشهد فى هذه الوقعة الأمير صارم الدين أزبك[٤] النائب بقلعة

---

(١) قبجق: قبجق بن عبد الله المنصوري الأمير سيف الدين، ويقال: ققجق، كان نائبًا لحلب، وليها ٧٠٩ هـ/ ١٣٢٩م، وتوفى بها في ٧١٠هـ/١٣١٠م. "ابن تغري بردي: الدليل الشافي ج٢ ص ٥٣٣".

(٢) القوطي، أبو الفضل الصابوني: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة لمؤلف من القرن الثاني الهجري والمنسوب لابن القوطي. تحقيق: بشار عواد معروف/ عماد عبد السلام رؤوف، ط١، دار الغرب الاسلامي، ١٩٩٧م، ص٥٤٣/ ابن حبيب، الحسن بن عمر: درة الأسلاك في دولة الأتراك. تحقيق: محمد محمد أمين – القاهرة – دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، ص١٨٧.

(٣) بيبرس الدودار المنصوري: مختار الأخبار، تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى ٧٠٢هـ. تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، ط١، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، ص ١١١./ الفاخري، الأمير بدر الدين بكتاش: تاريخ الفاخري، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ج١ ص ١٦٨.

(٤) صارم الدين أزبك بن عبد الله الحلبي العدل الكبير، كان من أعيان أمراء دمشق، وهو منسوب إلى أستاذه الأمير عز الدين أيبك الحلبي. "ابن تغري بردي: النجوم، ج٧، ص ٣٤٤".

(*) بلاطنس: حصن منيع بساحل الشام مقابل اللاذقية، من أعمال حلب. "ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص ٤٧٨".

بلاطنس(*)[1]، ولما ورد الخبر بقرب وصول الناصر إلى مصر وكان بقلعة الجبل حينئذ بيرس الدوادار نائبًا فيها عن السلطان، فأشاع انتصار السلطان، وكتم خبر الهزيمة عن الناس، وضرب البشائر بالقلعة لئلا يظن أحد شيئًا، وإخمادًا لما عساه يحدث من فتن[2]، وكذلك فعل أرجواش فى دمشق التي لم يكن بها حاكم ولا أحد يحفظها، لذا أخفى أرجواش أيضًا نبأ هزيمة الناصر عن أهل دمشق، ودق البشائر تطميناً[3].

ليس هذا كل ما فى الأمر فيما يخص أرجواش، بل دوره الحقيقي ونصيبه من المحاسن التي ذكرت سابقًا يبدأ عندما توجهت التتار إلى دمشق، فأصاب أهلها الرعب، وأمر أرجواش بأن ينادي فى الناس أن لا يباع شئ من السلاح[4]، وكان أن اجتمع علماء دمشق وقضاتها على الخروج إلى غازان[5] زعيم التتار لطلب الأمان منه، فأجابهم إلى ذلك[6]، ثم ذهبوا يتحدثون مع أرجواش يحسنون له تسليم القلعة، ففي هذا حقن دماء المسلمين، وإلا فإن

---

(١) النويري: نهاية الأرب ج ٣١ ص ٣٨٦/ العيني: عقد الجمان ج٤ ص ٢٣.

(٢) بيبرس: مختار الأخبار، ص١١٢.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام ج١٥ ص ٧٠٤/ ابن كثير: البداية والنهاية ج٩ ص ٢٨٧.

(٤) ابن حبيب: درة الأسلاك ص ١٨٩/ البرزالي: المقتفى ج٢، ق١ ص ٢٨.

(٥) غازان: غازان بن أرغون بن أبغا بن هولاكو سلطان التتار ببلاد الشرق، ولي الملك ٦٩٤هـ/١٢٩٤م، وكان مدبر مملكته الوزير نوروز التركي، توفى ٧٠٣هـ/١٣٠٣م. "ابن تغرى بردى: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافى. تحقيق: محمد محمد أمين، القاهرة. مركز تحقيق التراث. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م، ج٨ ص٣٥٧".

(٦) الدوداري: كنز الدرر "الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر". تحقيق: هانس روبرت رويمر، القاهرة، المعهد الآلماني للآثار، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م، ح٩ ص ١٩.

جيش التتار سيدخل البلد، فلم يجبهم إلى ما طلبوا[١]، فأرسلوا إليه رسولاً أخر وبلغه سلامهم، فقال: "ومن هم الذين أرسلوك، فسماهم له، فقال: "هم المنافقون الخائنون للمسلمين، وليس عندي جواب، ومع هذا فهذه بطاقة وصلت من السلطان يوصيني بالقلعة، وأنه جمع الجيوش للتتار وكسر الطائفة التي اتبعتهم، ويصل عن قريب بعساكره[٢]، فخرجوا من عنده دونما تحقيق هدفهم[٣]، وفى قوله هذا عن السلطان بهزيمته لمن انضم إلى التتار من الناس، ثم وصوله عن قريب بالعساكر لمحاربة التتار أنفسهم إنما هو من أرجواش من قبيل التهديد والاطمئنان في نفس الوقت، فيهددهم بأن مصيرهم محاربة السلطان إذا ركنوا إلى التتار، ويطمئنهم ويخوفهم أيضًا بقرب وصول السلطان لمحاربة التتار حتى لا يصبح جل تفكيرهم فى الصلح مع التتار، وهذا الأمر الذي لا يرضى به أرجواش واعتبر من يقول به خائنًا.

ولما دخل التتار إلى البلد وقع النهب والسلب، وعقد غازان لقبجق على نيابة دمشق، فأطاع أهل دمشق جميعهم غازان ما عدا أرجواش[٤] الذي أظهر حزمًا واجتهادًا، ويقظة واستعدادًا، ولم يسلم القلعة، بل ظل على امتناعه، ولم تفلح محاولاتهم معه بالترغيب بالعطايا، ولا بالترهيب حينما نصبوا

(١) ابن أبي الفضائل: النهج السديد، ج٢ ص ٦٤٦/ ابن خلدون: العبر، ج٥ ص ٤١٤.
(٢) النويري: نهاية الأرب، ج ٣١ ص ٣٩٣/ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٥ ص ٧٠٨.
(٣) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص ٣٣/ البرزالي: المقتفى ج٢، ق١، ص ٣٠.
(٤) الدوداري : كنز الدرر ج٩ ص ٢٦ / القوطي : حوادث ص ٥٤٣.

المجانيق[١] على القلعة ليقذفونها، فما هاله أمرها ولا فتح لها بابًا[٢]، فزاد من غضب غازان، وطلب قبجق واستشاره، فعرفه أن القلعة حصينة، وأن نائبها أرجواش رجل شديد البأس، ولن يمكن أحد من أخذها إلا بعد قتال شديد، فأشار البعض على غازان بهدم القلعة، فشرع فى ذلك[٣]، فلما بلغ ذلك أرجواش أرسل جماعته ليلاً ومعهم النار المحرقة، فأطلقوا النار من المناطق القريبة من القلعة، فصارت شعلة نار، فهرب التتار منهزمين[٤].

وكان أرجواش يدافع عن القلعة دفاع المستميت، وأن حياته دون استيلاء التتار على القلعة، ويبدو أن دافعه في ذلك ليس فقط التزامه بمهام وظيفته، فربما كان هذا هو السبب أو الدافع الثاني عنده، أما الدافع الأول فهو عزة ورفعة الإسلام والمسلمين، وعدم تمكين أعداء الله من المسلمين، يدل على ذلك ما كان من قفجق الذي ذهب يخوف أرجواش من غازان، ويغريه بما سيناله من العطايا إن سلم القلعة، ويرهبه بما سيناله من بلايا إذا رفض تسليمها، ويحمله مسئولية دماء المسلمين إذا ما أريقت، إلا إن أرجواش لم يخنع للعطايا ولم يرهبه التهديد، بل وحمل قبجق مسئولية دماء المسلمين، لأنه كان السبب فى مجئ التتار إلى البلاد[٥]، حتى قيل: إن أراجواش سبَّ قبجق وأغلظ له فى

(١) المجانيق: المنجنيق بفتح الميم وكسرها وهو الذي يوضع به الحجارة فيقذفها، وأصل الكلمة فارسية من جي نيك، أي: ما أجودني. "ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي: لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت، د.ت ج١٠ ص٣٣٨".

(٢) بيبرس: زبدة الفكرة ص ٣٦٠.

(٣) بيبرس: زبدة الفكرة ص ٣٦٠/ الصفدي: أعيان العصر، م٢ ص ٤٦٧.

(٤) الدوداري: كنز الدرر ج٩ ص ٢٤/ ابن تغري بردي: النجوم ج٨ ص ١٢٥.

(٥) النويري: نهاية الأرب ج ٣١ ص ٣٩٣.

القول، إذ قال له: "يا منافق من يقترب إلى القلعة؟ والله لو اقترب إليها أستاذي الملك المنصور ما كان له عندي غير سهم فى صدره"(١). كما أُثر عنه قولــه لقفجق أيضاً: "كيف أسلم القلعة والملك الناصر على قيد الحياة"(٢).

أما غازان فلما بلغه حديث أرجواش غضب وأمر بمحاصرة القلعة ورميها بالمجانيق(٣)، فتحرك أرجواش سريعًا، واختار من رجاله أربعة وأمرهم بقتل صانع المنجانيق، ففعلوا، وأمر أرجواش بإحراق المدرسة العادلية(٤) لأن التتار كانوا يستخدمون سطحها فى الرمي على القلعة(٥)، واستمر الوضع هكذا حتى جاءت الأخبار بخروج السلطان الناصر على رأس جيشه إلى دمشق، فتــرك التتار البلد خوفًا من قدومه(٦)، ولكن برغم رحيلهم إلا إن أرجواش لم يــركن إلى الدعة، وظل على حذره منهم، فأمر المنادي بأن ينادي فى الناس بحفــظ أسوار البلاد، وأن من بات فى داره دون حفظ الأسوار فعقوبته الشــنق، وألا يفتح أحد دكانه سوى الخبازين والطباخين، وإلا شنق من خالف ذلك، فــلازم

---

(١) العيني: عقد الجمان ج٤ ص ٤٢.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ق١، ص ٤٠٤.

(٣) النويري: نهاية الأرب ج٣١ ص ٣٩٨/ الصفدي: أعيان العصر، م٢ ص ٤٦٧.

(٤) المدرسة العادلية: داخل باب الفرج شرقي باب قلعة دمشق الشرقي، وهــي العادليــة الكبرى التي بناها الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيــوب، وكانــت مدرســة كبيــرة للشافعية. " النعيمي الدمشقي، عبد القادر بن محمد: الدارس فى تاريخ المدارس، تحقيــق: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـــ، ج١ ص ٢٧٣".

(٥) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ١٥ ص ٧١٢/ ابن خلدون: العبر، ج٥ ص ٤١٤.

(٦) الدوداري: كنز الدرر، ج٩، ص٣٥./ ابن أبي الفضايل: النهج السديد، ج٣، ص١٨.

الناس المبيت على الأسوار(١)، فلما وصل السلطان إلى دمشق طلـــب الأميـــر أرجواش، وخلع عليه، ورسم له بعشرة آلاف درهم(٢).

وما فعله أرجواش من تصديه للتتار جعل ابن تغري بردي يمدحه بسلامة الباطن، وثبات الجنان ويذكره بقوله: "يُلحق أرجواش هذا بعقلاء المجانين، فإن فى تدبيره أمر قلعة دمشق وقيامه فى قتال غازان لهو المنتهى فى الشـــجاعة وحسن التدبير"(٣).

وبالرغم من كل ما أبداه أرجواش من صمود وتصدي للتتار حتى ليكـــاد ينسب الفضل فى رجوعهم عن دمشق إلى تثبيت الله له للوقـــوف أمـــام هـــذا الخطر بمفرده، إلا أنه صدر قرارًا فى ٧٠٠هـــ/١٣٠٠م بأن يكون له شريك فى نيابة القلعة، وهو الأمير سيف الدين أقجبا المنصوري(٤)، وتقرر لكل منهما أن يركب يومًا ويكون الأخر بالقلعة يومًا، فامتنع أرجواش عن الركـــوب(٥)، ويبدو أن هذا القرار لم ينفذ بسبب امتناع أرجواش، وظل هو نائبًا للقلعة حتى وفاته(٦)، وليس معلوم السبب فى جعل شريك لأرجواش فى نيابة القلعة، أهـــو خوف من ازدياد نفوذه بعدما أظهره من شجاعة؟ أم أن الأخطـــار المحدقـــة

---

(١) البرزالي: المقتفي ج٢، ق١، ص ٧٢ ص ٧٣.

(٢) العيني: عقد الجمان ج٤ ص ٨٠.

(٣) النجوم، ج٤ ص ١٢٨.

(٤) أقجبا المنصوري: سيف الدين أقجبا المنصوري، ولاه الناصر محمد على نيابة غـــزة فى ٧٠٠هـــ/١٣٠٠م بعد أن كان نائبًا على قلعة دمشق. "ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٤، ص١٧".

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية ج٩ ص ٢٩٥/ البرزالي: المقتفى ج٢، ق١، ص ١٥١.

(٦) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات ج ٨ ص ١٢٠.

بدمشق هي ما دفعت السلطان لتولية شريك مع أرجواش؟ ولكن على أية حال فإن هذا الأمر لم يكن ليرضى أرجواش.

كان أرجواش شديد الوفاء لأستاذه الملك المنصور حتى بعد وفاته، مما جعل البعض يصف بعض تصرفاته بالتغفل مثل ابن تغري بردي الذي ساق فى كتابه ما يؤيد وصفه له، فحكى: أنه لما مات الملك المنصور قلاوون طلب أرجواش أن يُحضر له مقرئين يقرءون ختمة للسلطان، فأحضر إليه جماعة فقرءوا، فأحضر أرجواش دبوسًا وقال: "كيف تقرؤون للسلطان هذه القراءة! تقرؤون عاليًا، فضجوا بالقراءة، فلما فرغوا قال: يقرؤون أخرى، فقرؤوها، فقال: السماء ثلاثة والأرض ثلاثة والأيام ثلاثة، وكل ما في الدنيا ثلاثة، يقرؤون أخرى، فقال الذي أحضرهم للقراءة: "اقرؤوها، واحمدوا الله تعالى على أنه ما علم أن هذه الأشياء سبعة سبعة"، فلما فرغوا من الثلاثة قال أجواش لمن أحضرهم: "دعهم عندك إلى بكره، واكتب عليهم حجة بالله تعالى وبنعمة السلطان أن ثواب هذه الختمات لمولانا السلطان الملك المنصور"[1]، فهذا الذي فعله أرجواش ليس تغفلاً كما تم وصفه، بل إن ذلك من فرط حبه لأستاذه وإخلاصه له، وحرصه على أن ثواب هذه القراءات يصل إليه، فلربما تكون هي المنجية له عند الله وينال رحمته.

ثم كانت وفاة أرجواش الأمير الكبير المجاهد المرابط[2]، صاحب الهمة والشهامة والقصد الصالح في ٧٠١هـ/١٣٠١م، بقلعة دمشق[3]، فصلى عليه

---

(١) النجوم، ج٨ ص ١٩٩/ المنهل الصافي، ج٢ ص ٢٩٥ ص ٢٩٦.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص ٣٠٠.

(٣) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص ٢٠٤/ ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ج١ ص ١٠٤.

ودفن بترتبه[١]، وخلف من الورثة أربع بنات وابن معتقه السلطان الناصـــر، وكان لما حضرته الوفاة أحضر أكابر العدول وأشهدهم على مجموع ما يخلفه مما يملك، فوقع الإشهاد عليه وأعتق مماليكه، وأوصى بحجة وصـــدقة، قـــال النويري: "ولما مات كنت ممن حضر تركته واحتوت على أشياء كثيرة مـــن القسي والأقمشة والسلاح، فقسمت بالفريضة الشرعية"[٢].

وإذا كان حفظ القلعة من الأعداء وعدم تسليمها أو التفريط فيها واحدة من مهام نائب القلعة، فقد قام أغلب نواب قلاع المسلمين على هذا خير قيام، وهذا إذا ما قورنوا بغيرهم من نواب قلاع الفرنج، ويوضح ذلـــك مـــا كـــان فـــي ٦٩٠هـــ/١٢٩١م، حينما أرسل المنصور قلاوون ثم من بعده الأشرف خليـــل الأمير علم الدين سنجر الشجاعي[٣] لفتح البلاد التي بيد الإفرنج، ففعل، وكان من تلك البلاد بيروت، فلما فتحها الشجاعي أخرج أهلها منها واستولى علـــى القلعة وما فيها[٤]، وكانت القلعة قد استعصت عليه قليلاً، فتحدث مـــع نائبهـــا ويسمى كليام، فما كان منه إلا أن أجاب وسلم، وأسر كل من كان بالقلعة مـــن الخيالة والمقاتلة، ثم هدم القلعة[٥]. فيظهر هنا عدم اكتراث كليام بالمثابرة في الدفاع عن قلعته، بل فضل التسليم، وآثر السلامة. ويبدو من هـــذا أيضـــا أن

---

(١) الصفدي: أعيان العصر، م٢ ص ٤٦٦.

(٢) نهاية الأرب، ج٣٢ ص ٢٠.

(٣) علم الدين سنجر الشجاعي: ولد فى دمشق ثم انتقل إلى مصر وأصبح مـــن مماليـــك السلطان المنصور قلاوون، وتنقلت به الأحوال إلى أن تولى وزارة الديار المصرية. "ابـــن الفرات: تاريخ ابن الفرات، مج ٨ ص ٩٦ ص ١٨٨".

(٤) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات ج٨ ص ١٢١.

(٥) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٥ ص ٤٣٦.

العقيدة والإيمان يلعبان دورًا مهمًا يُظهر جليًا الفرق بين المسلمين الذين لا يبالون بأرواحهم إذا زهقت ما دامت في سبيل أداء العبادة متمثلة في القيام بمهام وظيفتهم، وبين غيرهم الذين يؤثرون أنفسهم ويرونها أولى بالمحافظة عليها دون المحافظة على أداء مهامهم وحفظ ما أُسند إليهم حفظه من قلاع ومن بشر موكل إليهم حفظهم والزود عنهم.

وكان لنائب القلعة أن يصدر الأوامر بمصادرة من يخالف طاعة السلطان مثلما فعل سيف الدين طوغان المنصوري(١) نائب دمشق مع قبجق الذي أوى بعض المتمردين على السلطان لاجين حتى يطلب لهم العفو من السلطان، وأرسل يطلب من طوغان نائب قلعة دمشق أن يمده بالأموال للإنفاق على من معه، فرفض طوغان إجابته إلى ذلك وقال له: "كيف تجير أعداء السلطان وأنت قادر على مسكهم"، فلما أحس ققجق أن طوغان سيمسك به فر هاربًا إلى التتار(٢)، فقام طوغان نائب القلعة بالحوطة على داره، واحترز على أهله وولده واتباعه(٣).

وقد يتولى نيابة القلعة من كان نائبًا للبلد من قبل، وذلك مثلما حدث في ٦٩٢هـ/١٢٩٢م حينما عين السلطان الأشرف خليل الأمير سيف الدين

---

(١) سيف الدين طوغان: تولى نيابة دمشق ثم نيابة قلعة المسلمين (الروم) ثم نيابة قلعة البيرة، وعمل فى شد الدواوين بدمشق، قيل عنه: أنه كان ظالمًا عسوفًا، إلا إنه أيضًا كان فى غاية الجود والكرم، توفى ٧٢٤هـ/١٣٢٣م. "الصفدي: أعيان العصر، م٢ ص ٦٢٣".

(٢) النويري: نهاية الأرب ج٣١ ص ٣٥٢.

(٣) الدوداري: كنز الدرر ج٨ ص ٣٧٤.

طوغان -والذي كان نائبه في دمشق- عينه في نيابة قلعة الروم بعدما استولى الشجاعي عليها[1].

وكان على الأمراء في حال مواجهة الأخطار أن يتعاونوا مع نائب القلعة، ويطلعوه على الخطط والتدابير المتخذة لدرء تلك الأخطار، فيجب أن يكون نائب القلعة على علم بذلك حتى يستطيع اتخاذ ما يلزم من نشر الأمن والاطمئنان، وعدم افساح المجال للظنون والشائعات والقيل والقال، ففي ٧٠٢هـ/١٣٠٢م عزمت التتار على الخروج إلى دمشق والهجوم عليها[2]، فجهز السلطان الناصر عساكره من الديار المصرية وخرج لصدهم[3]، فيما عرف بوقعة شقحب في قرية غباغب[4]، كما أصدر السلطان أوامره إلى العساكر الشامية بالتأهب أيضًا لمحاربة التتار[5]، إلا أنه لم يتم تحديد مكان الموقعة أهي داخل البلد أم خارجها؟ وزاد من الحيرة أن الناس لما رأت العسكر الشامي وقد خرجت انقسمت في رؤيتها هذا قسمين: قسم قال: إنهم ساروا ليختاروا موضعًا للقتال، وقسم قال: ساروا ليهربوا، وليلحقوا بالسلطان، وقويت ظنون الناس في هربهم[6]، وظل الأمر على هذا الحال من الظنون والخوف حتى جاء أحد الأمراء فاجتمع بنائب القلعة سيف الدين بلبان

---

(١) العيني: عقد الجمان ج٣ ص ١٨٧/ ابن الجزري: حوادث ج١ ص ١٥٣.

(٢) بيبرس: مختار الأخبار ص ١٢٣/ ابن حبيب: درة الأسلاك ج٢ ص ٢٣٣.

(٣) ابن خلدون : العبر، ج٥ ص ٤١٧.

(٤) غباغب: قرية فى أول عمل حوران من نواحي دمشق، بينهما ستة فراسخ ."ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤ ص ١٨٤".

(٥) ابن حبيب: درة الأسلاك، ج٢ ص ٢٣٤/ السحماوي: الثغر الباسم ج١ ص ٢٣٧.

(٦) ابن كثير: البداية والنهاية ج٩ ص ٣٠٣.

الجوكندار، ثم عاد سريعًا، ولم يدر أحد ما أخبر به، فتنامت الشـائعات بـين الناس[١]، فلما كان اليوم التالي رأى الناس غبرة وسوادًا، فغلب على الظن أن الاشتباك مع التتار في هذا اليوم، فلما كان ظهر هذا اليوم قرئت رسالة علـى الناس أن الجيوش الشامية والمصرية اجتمعت مع السلطان، وطُلِب من الناس الدعاء، وأمُروا بحفظ القلعة والتحرز على الأسوار، ثم في اليوم التالي جـاء كتاب السلطان فقرِيء على الناس يُخبر بالتحام المسلمين مع التتار، ثـم فـي العصر وردت رسالة إلى نائب القلعة تحمل تفاصيل القتال مـع التتـار ثـم هزيمتهم ونصرة المسلمين وجيش السلطان الملك الناصر[٢]، فلما قرأها نائب القلعة على الناس بالجامع اطمئنت القلوب[٣]. وهذا يوضح ضرورة التنسـيق مع نائب القلعة، واطلاعه على كافة الأمور والمستجدات حتـى يتسـنى لـه إذاعتها على الناس وطمئنتهم في حال عدم خروجه مع الجيش وبقاءه لحفـظ القلعة.

وكما أن نائب البلد قد يصبح فيما بعد نائبًا للقلعة، كذلك فإن نائب القلعة قد يتم اختياره لنيابة السلطنة، بل ولبلد أخرى غير التي كان نائبًا للقلعة بها، وذلك مثلما حدث في ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م حينما نقل الأميـر سـيف الـدين بلبـان الجوكندار من وظيفة نيابة القلعة بدمشق إلى نيابة السلطنة بحمص نظرًا لوفاة نائبها، وقـد ظـل بلبـان الجوكنـدار نائبًـا لحمـص حتـى وفاتـه فـي

---

(١) العيني: عقد الجمان ج٤ ص ٢٤١.

(٢) العيني: عقد الجمان ج٤ ص ٢٤٢/ ابن حبيب : درة الأسلاك ج٢ ص ٢٣٤.

(٣) بيبرس: مختار الأخبار ص ١٢٦/ ابن كثير: البداية والنهاية ج٩ ص ٣٠٥.

٧٠٦هـ/١٣٠٦م[١]، وكان سيف الدين بلبان هذا يعمل من قبل في شاد الشام[٢] والاستادارية[*][٣]،وقد ذكر عنه الصفدي أنه كان بخيلاً، إلا إنه كان مبجلاً لغيره محترمًا لهم، وقام بالإحسان إلى من عرفهم[٤].

ومثله كان الأمير سيف الدين البدري الذي تولى نيابة قلعة دمشق في ٧١١هـ/١٣١١م، وكان أحد مقدمي الألوف، شيخًا عاقلاً مهيبًا، فصدر الأمر السلطاني في ٧١٤هـ/١٣١٤م بعزله عن نيابة القلعة ليتوجه إلى نيابة صفد، ثم أُرسل إلى حمص نائبًا في ٧١٩هـ/١٣١٩م، وتوفى وهو نائبًا عليها في ٧٢٧هـ/١٣٢٦م[٥].

والأصل في نائب القلعة أن ولاءه وإخلاصه يكون لسلطان البلاد الشرعي، يأتمر بأمره وينتهي بنهيه، وهذا كان حال نواب القلاع بالفعل، لكن

---

(١) بيبرس: زبدة الفكرة ص ٤٢٣/ ابن أبي الفضايل: النهج السديد ج٣ ص ٢٠٤./ ابن تغري بردي: الدليل الشافي ج ١ ص ١٩٨.

(*) الشاد: هو الذي إليه أمر تحصيل المال وصرف النفقات. "العمري: مسالك الأبصار ج٣ ص ٢٧٥". والشاد بمعنى الأستاذ، وشاد الدواوين كانت مهمته مرافقة الوزير، والتفتيش على مالية الدواوين وموظفيها. "البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ج٢ ص ١٩١".

(٢) الاستاداريه: الاستادار هو الذي إليه أمر بيوت السلطان كلها من المطابخ والشراب خاناه والحاشية والغلمان، وله تصرف تام فى استجلاب كل ما يحتاجه بيت السلطان من النفقات والكساوي وغير ذلك. "العمرى: مسالك الأبصار، ج١ ص ٢٧٤ ص ٢٧٥".

(٣) النويري: نهاية الأرب، ج٣٢ ص ٢٤/ البرزالي: المقتفى، ج٢، ق١، ص ٢١١.

(٤) أعيان العصر، م٢ ص ٤٤.

(٥) الصفدى: أعيان العصر، م٢ ص٤٧.

حدث أن تم عكس ذلك في بعض الأحيان، وسبب ذلك كراهة نـــواب القـــلاع للسلطان، أو استشعارهم بأن السلطنة لم تصل إليه عن استحقاق، وذلك مثلمـــا حدث في ٧٠٩هـــ/١٣٠٩م حينما تنازل السلطان الملك الناصر عن الســـلطنة وخرج إلى الكرك هربًا من تسلط سلار[(١)] وبيبرس الجاشنكير عليه[(٢)]، وتولى الأخير السلطنة، فخطب له الناصر في جامعي مدينة الكرك[(٣)]، إلا أن بيبرس لم يُقّدر هذا الفعل من السلطان، بل شرع يُضيق عليه ورجاله فـــي الأمـــوال، وعندئذ قرر السلطان العودة إلى عرشه مرة أخرى، وراسل من يثق فيه مـــن الأمراء، فقدموا عليه في الكرك[(٤)]، ففتح لهم الأمير سيف الدين أرغون[(٥)] نائب القلعة أبوابها، واجتمع فيها الناصر مع من قدم عليه من الأمراء، وأمر بإعادة الخطبة له، فخُطب له بجامعي القلعة والمدينة، واتفقوا جميعًا على الذهاب إلى دمشق[(٦)]، فترك بقلعة الكرك النائب سيف الدين أرغون في طائفة من المماليك

---

(١) سلار: تتري الجنس، من مماليك الصالح نور الدين على بن قـــلاوون، كـــان غلـــيظ الجسد، شديد الغضب، صعب الخلق، إلا إنه كان كثير البر والصدقات، وكان فى سعة من المال، فلما مات احتاط السلطان على أملاكه. "ابن إياس: بدائع الزهور ج١ ص ٤٣٦.

(٢) ابن أبي الفضائل: النهج السديد ج٣ ص ١٤٧/ السحماوي: الثغـــر الباســـم، ج١ ص ٢٣٨.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم ج٨ ص٢٥٦/ ابن سباط: صدق الأخبار، ج٢، ص٦٠٠.

(٤) النويري: نهاية الأرب، ج٣٢، ص١٥٠.

(٥) سيف الدين أرغون: أرغون شاه بن عبد الله الناصري، عتيق الناصـــر محمـــد بـــن قلاوون، ولي نيابة حلب ثم الشام، وكان ضخمًا شجاعًا، قتل فى ٧٥٠هـــ/١٣٤٩م. "ابـــن تغري بردي: الدليل الشافي، ج١ ص ١٠٨".

(٦)ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج٢، ص١٩.

السلطانية، فلما وصل إلى دمشق استقبله نائب قلعة دمشق يلبغـــا الســـنجري، وقبل الأرض بينه[١]، ومد له مائدة عظيمة، ثم ارتحل السلطان إلى مصـــر[٢]، وجلس على عرشه، أما بيبرس فقد هرب، وراسل السلطان في العفو، فعفـــى عنه[٣]. ويتبين من ذلك أن ولاء كل من نائب قلعة الكرك وقلعة دمشق كـــان للناصر؛ لأنهما شاهدا في بيبرس أنه السلطان المغتصب للعرش، فلا دانا لـــه بولاء ولا ظلا له على طاعة.

وامتثالاً لأوامر السلطان فقد يتواطأ نواب القلاع ضد نائب البلد، وذلـــك مثلما حدث في ٧١٠هـــ/١٣١٠م حينما عهد السلطان الناصـــر إلـــى الأميـــر كراي[٤] بنيابة حمص، وعهد إلى اسندمر كرجي[٥] بنيابة حلب[٦]، وهذا فـــي الظاهر، أما في الباطن، فقد بعث السلطان إلى نائـــب قلعـــة حلـــب وبعـــض أمراؤها بالقبض على أسندمر كرجي فور وصوله، وقد اشترك مع أمراء حلب

---

(١) ابن دقماق: النفحة ص ١١٤.

(٢) ابن حبيب: درة الأسلاك، ج٢ ص ٣١٧/ ابن إياس: بـــدائع الزهـــور، ج١، ق١، ص ٤٢٨.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم، ج٨ ص ٢٧٥/ ابن سباط: صدق الأخبار، ج٢ ص ٦٠٢.

(٤) كراي: تولى على نيابة دمشق فى ٧١١هـــ/١٣١١م بعد تسفير قراسنقر منها، فخـــرج الناس لتلقي كراي واستقباله بالشموع، ثم عُزل واعتقل. "ابن كثير: البدايـــة والنهايـــة، ج٤ ص ٦١".

(٥) اسندمر كرجي: كان نائبًا على طرابلس، ثم استقر في نيابة حماه في عهـــد الســـلطان الناصر محمد، وقد كلفه الناصر بإحضار الملك المظفر بيبرس مقيدًا، ففعل. "ابـــن تغـــري بردي: النجوم، ج٨، ص٢٧٤".

(٦) الفاخري: تاريخ الفاخري، ج١ ص ٢٠٥/ ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج٢، ص ٢٩.

في تدبير هذا الأمر كراي نائب حمص، إذ ركب من حمص متوجهًا إلى حلب، ووقف بمن معه تحت قلعة حلب عند ثلث الليل وصاح: " يالعلي"، وهي الإشارة التي اتفق عليها مع نائب قلعة حلب، وعندئذ نزل نائب القلعة بجميع رجالها إلى كرجى، إلا أن كرجى لما رأى ذلك سلم نفسه، فسجن بالقلعة، حتى حمل إلى السلطان فاعتقله[١]، فأرسل يسأل السلطان عن ذنبه، فرد السلطان: "ما لك ذنب إلا إنك قلت لي: لا تبقِ في دولتك كبشًا كبيرًا، ولم يبق عندي كبش كبير غيرك"[٢].

وقد يتم القبض على نائب القلعة باتفاق رجالها مع أمرائها عليه، مثلما حدث حينما أمر السلطان الناصر بالقبض على سيف الدين طوغان نائب قلعة البيرة[٣] لعسفه وظلمه[٤]، فكان القبض عليه باتفاق رجال القلعة عليه، وذلك أن أن الأمراء كتبوا إليه أن بعض مماليك كرجي قد هربوا، فابعث مماليكك في أثرهم، ففعل ذلك وبقى وحده بالقلعة، فقبض عليه رجالها واعتقلوه، وأُرسل إلى السلطان فحبسه، ثم أطلقه بعد أيام، وولاه شد الدواوين بدمشق[٥].

وقد يُفوض نائب القلعة من قبل السلطان بسلطات واسعة تتعدى اختصاصاته ومهام إضافية توكل إليه إذا لزم الأمر، وذلك مثلما حدث في

---

(١) ابن حبيب: درة الأسلاك، ج٢ ص ٣٣١.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم، ج٩ ص ٢٦ ص٢٧.

(٣) البيرة: بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية، ولها قلعة جصنية. "ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١ ص ٥٢٦".

(٤) ابن أبي الفضائل: النهج السديد ج٣ ص ١٩٦.

(٥) النويري: نهاية الأرب ج٣٢ ص ١٧٨/ الصفدي: أعيان العصر، م٢ ص ٦٢٢ ص ٦٢٣.

٧١١هـ/١٣١١م حينما أمر السلطان الناصر أن يرحل شمس الدين قراسنقر عن نيابة دمشق إلى نيابة حلب[١]، وإحضار سيف الدين كراي إلى نيابة دمشق[٢]، فجاء مرسوم من السلطان إلى نائب قلعة دمشق الأمير سيف الدين بهادر السنجري[٣] أن يتكلم في أمور دمشق ويرتبها لخلوها من النائب حتى يأتيها كراي، فحضر عنده الوزير والموقعون بالقلعة، فباشر جميع المهام المتعلقة بدمشق، وولي عدة ولايات كان منها نظر المارستان، ونظر الأسرى[٤].

ومما يتعلق بندرة المعلومات المدونة عن نواب القلاع ما ذكر أنه في ٧١٤هـ/١٣١٤م وصل خبر وفاة النائب بقلعة الصبيبة "وكان رجلاً جيدًا"، فقد لجأ إليه أهل الرحبة حينما هاجم التتار بلادهم، وأقاموا يقاتلونهم في ٧١٢هـ/١٣١٢م، فساندهم وساعدهم حتى رحل التتار عن بلادهم[٥]، فهذا كل ما ذكر عنه، وهذه من الأمور الغريبة مع وجود مؤرخين معاصرين لهم وشاهد عيان على الأحداث، إلا أنهم لم يحفظوا عنهم إلا أقل القليل.

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ج٩ ص ٣٣٧/ النويري: نيابة الارب ج٣٢ ص ١٧٨.

(٢) الفاخري: تاريخ الفاخري ج١ ص ٢٠٨/ ابن أبي الفضايل: النهج السديد ج٣ ص ١٩٨.

(٣) سيف الدين بهادر السنجري: تنقل فى النيابات بالحصون وغيرها، انتقل من نيابة قلعة دمشق إلى نيابة الغيبة فى ٧١١هـ/١٣١٧م، ثم ولى نظر المارستان والأسرى، ثم تولى على البيرة، ثم عمل نائبًا لغزة. "الصفدي: أعيان العصر، م٢ ص ٦١ ص٦٢".

(٤)البرزالي: المقتفى، ج٢، ق٢، ص٦/ الصفدي: أعيان العصر، م٢ ص٦١/ ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج٢، ص٣٧.

(٥) البرزالي: المقتفى، ج٢، ق٢، ص١٤٨/ ابن سباط: صدق الأخبار، ج٢ ص ٦١٤.

ومثل ذلك ما كان من أمر الفتنة التي ثارت في الإسكندرية في ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م وقبض فيها على نائب قلعة الروم فخر الدين إياس دونما علم بجريرته، إذ لم تذكر المصادر شيئًا عما اقترفه، وإنما هو مجرد ذكر الاسم والوظيفة مدرجان ضمن حادثة حدثت.

أما الحادثة، فإن أحد التجار الإفرنج قد وقف بجانب صبي أملح ليأخذه ويفعل معه الأفاعيل، فنهاه بعض المسلمين عن ذلك، فضربه الإفرنجي، فثار المسلمون بالإفرنجي، وثار الفرنج لحمايته، ووقع القتال بين الفريقين، فلما وصل الأمر إلى السلطان الناصر أرسل وزيره مع جماعة من المماليك إلى الاسكندرية، وأمره بتتبع أهل الفساد وقتلهم، وتغريم أهل البلد المال، وتجهيز الأمراء المسجونين إلى قلعة الجبل، ففعل الوزير ونفذ أوامر السلطان، وبعث بالأمراء المسجونين إلى قلعة الجبل، وكان فخر الدين أياس منهم، ثم بعد عدة أيام أفرج عنه(١). فتلك هي الحادثة، ولا يعلم ما ذنب نائب قلعة الروم في فتنة حدثت في الاسكندرية حتى يقبض عليه، أم أنه كان قادمًا إلى الاسكندرية مع التجار الإفرنج القادمين للمتاجرة فقبض عليه معهم؟ أم إنه حُمِل جزءًا من الأحداث؟ أم شارك في الفتنة؟ فكل هذا لم توضحه المصادر.

وقد يقضي نائب للقلعة في وظيفته سنوات عديدة إذا ما كانت الأحوال مستقرة في عهده، وثبت أنه أهل لما أسند إليه، ومن هؤلاء الأمير علم الدين مغلطاني السنجري الخازن الذي تولى نيابة قلعة دمشق في٧٢٧هـ/١٣٢٦م(٢)، وظل في وظيفته حتى وفاته في ٧٣٦هـ/١٣٣٥م

(١) المقريزي: السلوك، ج٢ ق١ ص ٢٨٥ ص ٢٨٦.

(٢) المقريزي: السلوك، ج٢ ق١ ص ٢٨٨.

بالقلعة، فحمل منها إلى جامع دمشق، وصُلى عليه ودفن بتربته، وقد ذكر عنه إنه كان رجلاً جيدًا كثير الخير، عديم الشر، كثير البر والصدقة[1].

وقد حكى عن نفسه فقال: "لما بلغت كنت كثيرًا ما يقع علىَّ الغسل والجنابة، وبقيت استحي من أستاذي ومماليكه، فقلت لبعض الحكماء عن قطعه، فقال: ما يقطعه إلا الكافور، فاشتريت مثقال كافور وشربته، فانقطع عني شهوة الجماع، وبطلت الحركة إلى الأن، وقال لي الحكماء نعمل لك أدوية؟ فلم أفعل، واخترت أن أبقى على حالي"، وكان له زوجة ماتت قبله بشهر، فورث منها مالاً كثيرًا، فاشترى أملاكًا كثيرة، ووقف منها على تربته، ونوع في الصدقات، وشرع في عمارة دار جديدة له، فمات ولم يتمها[2].

ومثله في إطالة مدة نيابته في القلعة كان الأمير سيف الدين جركس الناصري نائب قلعة الروم، وكان أميرًا جليلاً ذا عزم وحزم وسعادة ونعمة وحشمة، اشتهر أمره وتجلت منزلته، وملك أموالاً جزيلة[3]، فلما مات ٧٤٥هـ/١٣٤٤م أرسل السلطان الملك الصالح إسماعيل[4] أحد الأمراء

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص ٤٣٩.

(٢) ابن الجزري: حوادث، ج٣ ص ٨٩٠ ص ٨٩١.

(٣) الصفدي: أعيان العصر، م٢ ص١٤٩، م٣ ص٧٠٧. وبينما ذكر الصفدي أن مدته طالت فى نيابة القلعة وذكر تاريخ وفاته، إلا أنه لم يذكر أو غيره تاريخ ولايته نيابة قلعة الروم حتى يتم الاستدلال على عدد السنوات التي قضاها فى النيابة.

(٤) السلطان الملك الصالح: إسماعيل بن الناصر محمد بن المنصور، تولى السلطنة سنة ٧٤٤هـ/١٣٤٣م، وافتتح عهده بارسال كتب سلام للأمراء بالشام، ففرح أهل الشام بذلك، توفى ٧٤٦هـ/١٣٤٥م. "ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٤، ص٢٠٢".

للحوطة على تركته، فاشتملت على أشياء كثيرة[١]، مما يدل على أنه كان من ذوي الثراء، كما يبدو أنه لم يخلف له عقبًا ولا وارثًا، ويظهر هذا من حوطة لسلطان على تركته.

وإذا كان هناك من نواب القلاع من طالت مدته فيها، فإن هناك أيضًا من تولاها عدة أشهر فقط، وذلك مثل الأمير سيف الدين ينفجا الذي تـــولى نيابـــة قلعة دمشق في ٧٣٦هــ/١٣٣٥م عقب وفاة سيف الدين طوغان، إلا أنه لـــم يلبث فيها سوى أشهر معدودات وتركها ليتولى نيابة الرحبة، ثم بعلبك، وظل على بعلبك حتى وفاته ٧٤٨هــ/١١٤٧م[٢].

ومثله أيضًا الأمير علاء الدين مغلطاي المرتيني الذي تولى نيابـــة قلعـــة دمشق في ٧٣٧هــ/١٣٣٦م بعد ينفجا، ثم نقل منها إلى نيابة قلعة جعبر فـــي نفس العام، وظل عليها حتى مات بالطاعون في ٧٤٩هــ/١٣٤٨م[٣].

وقد لا يسمح السلطان لغيره بأن يُولى النواب على القلعة دون الرجـــوع إليه، خاصة إذا كان من يفعـــل هـــذا يـــؤدي بفعلـــه إلـــى الإفســـاد، ففـــي ٧٤٤هــ/١٣٤٣م أمر السلطان الصالح إسماعيل بالقبض على الأمير أقســـنقر السلاري[٤] نائب السلطنة؛ لأنه في نيابته لم يكن يَرُّد أحدًا يسأله في مســـألة،

---

(١) ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج٣، ص٦٧.

(٢) ابن الجزري: حوادث ج٣ ص ٩٣٧.

(٣) ابن الجزري: حوادث ج٣ ص ٩٣٧.

(٤) أقسنقر السلاري: كان فى خدمة سلار بعد الأشرف خليل، ثم ناب بصفد، ثم بغزة، ثم بمصر للناصر، كان مشهورا بالعفة والعدل، واستقر فى النيابة فى عهد الصالح إســـماعيل إلى أن أمسك فى٧٤٤هــ/١٣٤٣م. "العسقلاني: الدرر الكامنة ج١، ص٤٦٨".

فسألوه في نيابات القلاع، فأعطاها لمن سألها من الناس، ولم يعبأ بما إذا كان فعله هذا صحيحًا أم باطلاً، فكتب النواب بذلك إلى السلطان، وكلمه، فلم يرجع وقال: "أنا أي من طلب مني شيئًا أعطيته، وما أرد قلمي عن أحد[١]"، فأمر السلطان بالقبض عليه.

وقد تصبح نيابة القلعة جائزة أو عطاء يُعطى لأحد الأمراء إذا ما نجح في تنفيذ مهمة أسندت إليه، وذلك مثلما فعل السلطان الصالح في٧٤٤هـ/١٣٤٣م حينما أرسل الأمير سيف الدين قبلاي[٢] على رأس مجموعة من الأمراء إلى الكرك لفتحها والاستيلاء عليها، ووعده إن فتحها أن تكون له نيابتها، فتتوجه إليها قبلاي وحاصرها، فامتد أمرها إلى بداية ٧٤٥هـ/١٣٤٤م حتى تمكن من فتحها، وأرسل البشارة إلى السلطان، فولاه عليها[٣].

وكان على نواب القلاع أن يدينوا بالسمع والطاعة للسلطان خاصة وقت الفتن أو محاولات الخروج عليه والتمرد ضده أو عزله، وذلك إما ولاءًا له، وهذا هو المفروض، وإما خوف العاقبة، إذ لا يُعلم عَلاَمَ ستنتهي هذه الفتن؟ ألصالح السلطان؟ أم لصالح المتمردين؟ ففي ٧٤٧هـ/١٣٤٦م اتفق نائب

---

(١) المقريزي : السلوك ج٢ ق١ ص ٦٣٨ ص ٦٣٩.

(٢) سيف الدين قبلاي: قبلاي بن عبد الله الأمير سيف الدين نائب الكرك فى أيام الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون، ولي الحجوبية الثانية بالقاهرة، ثم نقل منها إلى الحجوبية الكبرى، مات ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م "المقريزي: السلوك، ج٣ ص ٢٥./ ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ج٢ ص ٥٣٣".

(٣) الشجاعي، شمس الدين: تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي وأولاده. فرانز شتاينر – فيسبادن– ألمانيا، ١٣٩٨ هـ/ ١٩٤٨م، ص٢٦٤.

السلطنة بدمشق الأمير سيف الدين يلبغا اليحياوي[1] مع مجموعة من الأمراء على خلع الملك الكامل شعبان[2]، لأنه يكثر من القبض على الأمـــراء بغيـــر سبب، وأن يولوا أخاه أمير حاجي بن الناصر[3] على الســـلطنة، فحاصـــروا الكامل، وأحضروا أمير حاجي وبايعوه، ولقبوه بالمظفر، وأرسلوا لنائب القلعة لضرب البشائر بها لذلك، فامتنع من ضربها، وامتنع من الحضور إليهم وأغلق باب القلعة وحصنها، ودعا للكامل ليلاً نهارًا كما هي العادة، الأمر الذي أزعج عامة الناس، فهم لا يعلمون أعُزل الكامل أم لا؟ وقالوا: "لو كان تم شيء لـــه صحة كان نائب القلعة يطلع على هذا"، وظل الأمر على هذا الاضطراب حتى

---

(١) يلبغا اليحياوي: الناصري الأمير سيف الدين نائب حماة، ثم حلب، ثـــم الشـــام، كـــان خصيصًا عند أستاذه الملك الناصر محمـــد بـــن قـــلاوون لجمـــال صـــورته، قتـــل فـــى ٧٤٨هـــ/١٣٤٧م. "ابن تغري بردي: الدليل الشافي ج٢ ص٨٩٣".

(٢) الملك الكامل شعبان: تسلطن بعد مـــوت أخيـــه الملـــك الصـــالح بعهـــد منـــه فـــى ٧٤٦هـــ/١٣٤٥م، واستمر إلى أن خلعه الأمراء فى ٧٤٩هـــ/١٣٤٨م. "العاصمي المكي، عبد الملك بن حسين الشافعي: سمط النجوم العوالي فى أنباء الأوائل والتـــوالي. تحقيـــق: عادل أحمد عبـــد الموجـــود/ علـــى محمـــد عـــوض، دار الكتـــب العلميـــة، بيـــروت، ١٤١٩هـــ/١٩٩٨م، ج٤ ص٣١".

(٣) أمير حاجي بن الناصر: ويقال أمير الحاج ولقب بالمظفر، تسلطن بعد أخيه الكامـــل، فاختلف عليه الأمراء وتفرقت عنه قلوب الناس، وتفرق عنه أصحابه، وطعنه الأمير يلبغـــا أمير مجلس، وحمل إلى القلعة، فأدخلوه إلى تربة هناك فى ٧٤٨هـــ/١٣٤٧م. "العاصمي: سمط النجوم، ج٤ ص ٣١ ص٣٢".

أتى إلى القلعة الأمير سيف الدين بيغرا[١] حاجب الحجاب بالديار المصرية ومعه تأكيد بتقليد المظفر السلطنة وكانت أبوابها مغلقة إلا بابًا صغيرًا بها، فسل بيغرا سيفه ودخل إلى نائب القلعة، فبايعه النائب سريعًا، وأمر بدق البشائر في القلعة حين تأكد من صحة الخبر[٢]. فهذا ما كان من نائب قلعة الجبل، والذي كان امتناعه عن ضرب البشائر للسلطان المظفر خوفًا من ألا يكون خبر سلطنته صحيحًا، فالتزم الولاء للكامل شعبان، فلما تيقن صحة الخبر دق البشائر، وأعلن الولاء للسلطان الجديد.

أما دمشق ونائب قلعتها مغلطاي المارتيني، فإنه أيضًا رفض الخروج على السلطان الكامل شعبان، ومعه نائب قلعة صفد قرمجي بن أقطوان[٣]، فأمر سيف الدين يلبغا اليحياوي- الذي ولاه المظفر حاجي نيابة السلطنة بدمشق- بالقبض عليهما بعد أن استصدر من السلطان أمرًا بذلك[٤]، وقد قتل قرمجي بن أقطوان نائب قلعة صفد بعد القبض عليه، وأُخذ ماله[٥]. وهكذا

---

(١) سيف الدين بيغرا بن عبد الله الناصري ثم المنصوري، أحد أمراء الألوف بالديار المصرية، ومن أعيان الأمراء بها، كان شجاعًا مقدامًا، توفى فى ٧٥٤هـ/١٣٥٣م. "ابن تغري بردي: النجوم ج١٠ ص ٢٩٤".

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ج٩ ص ٤٧٩ ص ٤٨٠.

(٣) قرمجي بن أقطوان: نائب صفد، ممن رفض الخروج على الملك الكامل شعبان مع يلبغا اليحياوي نائب دمشق، فتم القبض عليه من قبل السلطان المظفر حاجي الذي تولى بعد الكامل شعبان ٧٤٧هـ/١٣٤٦م. "ابن تغري بردي: النجوم، ج١٠ ص ١٥١".

(٤) ابن تغري بردي: النجوم، ج١٠ ص ١٥١.

(٥) المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص٧٢٢.

عوقبا نائبا قلعتي دمشق وصفد بسبب ولائهما للسلطان وعدم الموافقة على الخروج عليه، والاعتراف بالسلطان الجديد.

وقد يقوم نائب السلطنة في بلد باختيار نائب لقلعتها، وذلك مثلما حدث في ٧٥٢هـ/١٣٥١م حينما ولى السلطان الصالح صالح بن الناصر[١] الأمير أرغون الكاملي[٢] على نيابة حلب، فقام أرغون بدوره باختيار موسى الحاجب[٣] بحلب نائبًا بقلعة الروم[٤].

ومن واجبات نائب القلعة اتخاذ كافة الإجراءات التي تكفل الحفاظ عليها وعلى البلاد وأهلها وحمايتهم ضد أي خطر داهم يطرأ، فيصدر من القرارات ويتخذ من الإجراءات ما يكفل له ذلك، ففي ٧٥٣هـ/١٣٥٢م كان بيبغا

---

(١) الصالح صالح: ولى السلطنة فى سنة ٧٥٢هـ/ ١٣١٥م بعد خلع أخاه الناصر حسن، وصار الأمير طاز مدبر مملكته، وصاحب الحل والعقد فيها، وليس للملك الصالح هذا معه إلا مجرد الإسم فقط، انتهت سلطنته فى سنة ٧٥٥ه/ ١٣٥٤م."أبو المحاسن: مورد اللطافة، ج٢، ص ٨٧"ـ

(٢)أرغون الكاملي: كان يُدعى أرغون الصغير، ثم أمر الملك الكامل شعبان بأن يدعى الكاملي، ولي نيابة حلب، وله بها بيمارستان، ثم ولي نيابة دمشق، مات ٧٥٨هـ/١٣٥٦م. "ابن تغرى بردي: الدليل الشافي ج١ ص١٠٨".

(٣) موسى الحاجب: عمل حاجبًا بحلب حتى أسند إليه الأمير أرغون الكاملي بأن يتوجه إلى قلعة المسلمين نائبًا بها وذلك فى ٧٥٢هـ/١٣٥١م. "الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٦ ص٢٩٤".

(٤) المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص ٨٣٧.

أرس[1] نائبًا للسلطان الصالح على حلب، فتمرد وأعلن عصيانه عليه وتسلطن هو، وتوجه إلى دمشق للاستيلاء عليها، فإذا بأبوابها مغلقة وأبـــواب القلعـــة محصنة من قبل الأمير سيف الدين إياجي نائب قلعة دمشق، فأمره بيبغا أرس بفتح أبواب المدينة، فامتنع إياجي عن إجابته[2]، واستمر في تحصين القلعـــة، ورصد فيها الرجال والرماة والعدد، وجهز المجانيق، وأمـــر أهـــل البلـــد ألا يفتحوا الدكاكين، وأن يغلقوا الأسواق، وأخذ يسكن جأش الناس ويقوى عزمهم، ويبشرهم بخروج السلطان على رأس العساكر المصرية لمواجهة بيبغا أرس، ولما قدم السلطان فر بيبغا أرس هاربًا، فأمر بأن يتوجهـــوا خلفـــه، ففعلـــوا، واستطاعوا هزيمته وتشتيت عساكره[3]. فهكذا عمل إياجي على المحافظة على البلاد وقلعتها مؤديًا واجبه، وقد ظل نائبًا على قلعة دمشق حتى وفاتـــه فـــي ٧٥٥هـــ/١٣٥٤م[4]، وكان قد وليها في ٧٤٩هـــ/١٣٤٨[5].

---

(١)بيبغا أرس: من مماليك الناصر محمد بن قلاوون، اشتهر فى دولة المظفر حاجي، وتنقل فى إمرة مجلس ثم النيابة وحسنت سيرته فيها، قتل بحلب ٧٥٤هـــ/١٣٥٣م. "ابن شـــاهين الحنفي، خليل الظاهري: نيل الأمل فى ذيل الدول تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا– بيروت، ١٤٢٢هـــ/ ٢٠٠٢م، ج١، ق١، ص ٢٥١".

(٢)ابن شاهين الحنفي: نيل الأمل، ج١، ق١، ص٢٣٧/ السخاوي، شمس الدين محمد بـــن عبد الرحمن: وجيز الكلام فى الذيل على دول الاسلام. تحقيـــق: بشـــار عـــواد معـــروف وآخران، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـــ/١٩٩٥م، ج١، ص٦٠.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ج٩ ص ٥٠٢ ص ٥٠٣/ ابن تغري بردي: النجـــوم ج١٠ ص ٢٧٦.

(٤) المقريزي: السلوك، ج٣ ق ١ ص ١٥.

(٥) الصفدي: أعيان العصر، ص٤٣.

وقد يُعاقب نائب القلعة بالعزل، وقد يطول العقاب أهله إذا ما قصر في مهماته، فمن ذلك ما كان في ٧٦١هـ/١٣٥٩م حينما هرب جماعة من الأمراء الأعراب من محبسهم في الشام، فاشتد نائب السلطنة على نائب القلعة، وضرب ابنيه وسجنهما، وكتب بهذه الواقعة إلى السلطان الناصر الحسن بن الناصر(١)، فجاء مرسوم السلطان بعزل نائب القلعة وإخراجه منها، وطلبه لمحاسبة ما قبض من الأموال السلطانية في مدة ست سنين من مباشرته وظيفته(٢). ومن الغريب في هذا الأمر أن نائب القلعة هذا قد مارس مهام وظيفته ست سنوات، ومع طول تلك المدة لم يُدون اسمه ولا فعله تلك المدة، اللهم إلا تلك الحادثة.

وعلى نائب القلعة ونائب البلد أن يقيما من العلاقات الجيدة والوطيدة ما يكفل لهما العمل قُدمًا لمصلحة البلاد، فالمصلحة واحدة والهدف واحد وهو المحافظة على البلاد، والإنجاز مشترك بينهما في ذلك، فيذكر أنه لما تولى زين الدين زُبالة الفارقاني على نيابة قلعة دمشق ودخل البلاد فإنه دار مع

---

(١) حسن بن الناصر محمد بن قلاوون: تسلطن بعد أخيه حاجي، واستمر إلى ٧٥٢هـ/١٣٥١م، فخلع نفسه، وتولى السلطنة أخوه صالح، أما حسن فقد حبس بقلعة الجبل بعد أن خلع نفسه، حتى خلع صالح من السلطنة وعاد هو إليها، فعظم شأنه، وكانت مدة تصرفه أولاً وثانيًا عشر سنين وأربعة أشهر، ثم قُتل بيد مملوكه يلبغا في٧٦٢هـ/١٣٦٠م. "العاصمي: سمط النجوم، ج٤، ص٣٣، ص٣٤".

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ج٩ ص ٥٢٨ ص ٥٢٩.

نائبها بيدمر[١]، وأراه حصونها وبروجها، ومفاتحها، وإغلاقها، ودورها، وقصورها، وعددها، وبركتها[٢].

على أنه تظل العلاقة حسنة وجيدة بين الإثنين في حال التعاون والأمن والاستقرار، أما إذا جنح أحدهم إلى العصيان فعلى الآخر جهاده والتصدى له، وذلك مثلما حدث في ٧٦٢هـ/١٣٦٠م حينما عصى بيدمر نائب الشام وخرج عن طاعة السلطان الناصر حسن، وتحصن بدمشق، وأغلق أبوابها، فأرسل إليه زبالة الفارقاني مع ثلاثة من الأمراء، فدخلوا البلد، وكسروا أقفال أبوابها وفتحوها، فلما رأى بيدمر أمره في إدبار أرسل مفاتيح البلد إليهم[٣].

وقد يوكل إلى نائب القلعة مصادرة الناس وحبسهم واستخراج ما عليهم من أموال، وذلك مثلما حدث في ٧٦٢هـ/١٣٦٠م حينما تم إلقاء القبض على كاتب السر أمين الدين القلانسي[٤]، وطُلب منه ألف ألف درهم، وسُلم إلى الأمير زبالة الفارقاني نائب القلعة، وأمر أن يعاقبه حتى يسدد ما عليه[٥].

وقد يعزل نائب القلعة من وظيفته ثم يعود إليها، وقد يتكرر ذلك مرارًا، ففي ٧٦٤هـ/١١٦٢م أرسل السلطان الأشرف شعبان يطلب زبالة الفارقاني

---

(١) بيدمر: الأمير سيف الدين بيدمر، كان حاجب الحجاب، ثم عين لنيابة حلب، فاستقبل القبلة، وسجد عندها، ظل نائبًا على السلطنة حتى قبض عليه فى ٧٨٤هـ/١٣٨٢م. "ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٤، ص٢٦٦./ العسقلاني: الدرر الكامنة، ج٢ ص ٥٧".

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص٥٣٧.

(٣) ابن خلدون: العبر، ج٥ ص ٤٧٧.

(٤)أمين الدين القلانسي: تولى كتابة السر للسلطان الناصر حسن، وظل بها حتى تم القبض عليه فى ٧٦٢هـ/١٣٦٠م. "ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٤ ص ٢٧٥".

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية ج٩ ص ٥٤٣.

ليوليه على نيابة قلعة دمشق بعد أن عزله عنها من قبل، فلما عاد إلى وظيفته تلقته الناس بالسرور وبالشموع، وذهبوا للسلام عليه وتهنئته بالعودة إلى نيابة القلعة، وكانت هذه ثالث مرة يتولاها، لأنه كان مشكور السيرة فيها، وله فيها سعي محمود في أوقات متعددة(١). وهذا المدح والثناء المثبتان في حقه في كتب التاريخ مع فرح الناس وسرورهم بعودته إليهم يدل على أنه كان صاحب كفاءة في منصبه، مؤلفًا للقلوب، ويقوم بأداء واجباته خير قيام، إذن فما الذي كان يراه السلطان منه يدعوه إلى عزله؟ هذا ما لم تثبته المؤلفات التاريخية.

وقد توفى زين الدين زبالة في ٧٨٤هـ/١٣٨٢م ودفن بتربته(٢) وكان قد تجاوز السبعين عامًا(٣)، وكان زبالة قد عمل أولاً نقيبًا للقلعة، ثم باشر نيابتها قبل عام ٧٥٠هـ/١٣٤٩م، ثم تولاها مرة أخرى في ٧٥٥هـ/١٣٥٤م، فعزل وأعيد أكثر من مرة كما سبق، ثم ولي نيابة الكرك مدة، كما تولى نظر الجامع والصدقات، وكان رجلاً متواضعًا يحبه الناس(٤).

ومثله في العزل والتولية وندرة المعلومات المتعلقة حول ذلك ما كان في ٧٦٥هـ/١١٦٣م حيث استعفى نائب قلعة الجبل الطنبغا الشمسي أنوك من نيابتها ثم عاد إليها مرة أخرى في ٧٧١هـ/١٣٦٩م(٥)، دون ذكر أسباب

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ج٩ ص ٥٥٣ ص ٥٥٥.

(٢) ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد الأسدي الدمشقي: تاريخ ابن قاضي شهبة. تحقيق: عدنان درويش، دمشق، ١٩٧٧م، ج٣ ص٩٧.

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج١ ق٢ ص ٣٢٦.

(٤) العسقلاني، أحمد بن على بن حجر: إنباء الغمر بأبناء العمر، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ج٢، ص١١١.

(٥) ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٩٧.

الاستعفاء، أو تدوين أسباب العودة، وعلى هذا فقس، فلا يوجد إحصاء لنواب القلاع أو تاريخ تعيين لكثير منهم، بل إن كثيرًا منهم لا يدون عنه شئ إلا حين عزله، فيعرف أنه قد تولى نيابة القلعة من خبر عزله عنها.

ويبدو أن القلعة أحياناً لا يعين لها نائب إلا وقت الحاجة، فإذا لم يكن هناك حاجة لذلك فلا يكون فيها النائب، بدليل ما كان في ٧٧٨هـ/١٣٧٦م حينما همّ السلطان الملك الأشرف شعبان[١] بالسفر لأداء فريضة الحج، فإنه قام بترتيب من يحفظ قلعة الجبل، فجعل عليها الأمير أيدمر الشمسي[٢] نائبًا[٣]، إلا إنه ولعدم قدرة نائب القلعة على حفظها فقدَ السلطان مُلكه وعُزل عن عرشه، وبيان ذلك أن السلطان لما خرج للحج ترك أولاده في القلعة، فاتفق مماليك السلطان ومماليك أولاده المقيمين بالقلعة على خلعه وتنصيب ابنه بدلاً منه، فدقوا باب القلعة على نائبها وقالوا له: "أعطنا سيدي أمير علي نسلطنه، فإن أباه مات"، فلم يفتح لهم نائب القلعة[٤]، فكسروا بابها ونهبوها، وأخذوا سيدي

---

(١) الأشرف شعبان بن حسن بن محمد بن قلاوون، تولى السلطنة فى ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م، واستمر عظيم الشوكة إلى أن توجه للحج ٧٧٦هـ/١٣٧٥م، فخلع فى غيبته، وسلطنوا ولده علي، فعاد إلى القاهرة واختفى حتى أمسكه الأمراء الذين عصوه وقتلوه فى٧٧٧هـ/١٣٧٥م. "العاصمي: سمط النجوم ج٤ ص ٣٤ ص ٣٥.

(٢) أيدمر الشمسي: عز الدين أيدمر الشمسي بن عبد الله، وأصله من مماليك الناصر محمد حتى أصبح أحد أكابر أمراء الألوف بالديار المصرية، توفي٧٨٣هـ/١٣٨١م بعد أن تجاوز الثمانين "ابن تغري بردي: النجوم ج١١ ص ٢١٩".

(٣) ابن خلدون: العبر ج٥ ص ٤٦٣.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم، ج١١ ص٧٢.

أمير علي، وسلطنوه، ولم يكن الملك الأشرف شعبان مات كما أشاعوا[١]، فلما علم الأشرف شعبان بما حدث فر هاربًا[٢]، وبذا خسر ملكه، لعدم كفاءة نائب القلعة ومن معه، والذين كان على عاتقهم حفظها.

وقد يحتال نائب البلد على نائب القلعة حتى ينجي من المُسَألة في أمر مـــا أمام السلطان، ولذا فلا يتورع أن يضر بنائب القلعة إذا ما اقتضت مصـــلحته ذلك، وهذا بخلاف الأصل، إذ الأصل أن الاثنين يعملان معًا لمصلحة البلـــد، وإطاعة أوامر السلطان، ومن ذلك ما كان في ٧٨٧ هــ/ ١٣٨٥م حينما عزل نائب حلب يلبغا الناصري[٣] بأمر من السلطان برقوق[٤] سلطان المماليـــك[٥]، وسبب ذلك أن سولي بن قراجا بن دلغادر[٦] كان قد حضر إلى حلب ليعلن أنه

(١) ابن شاهين: نيل الأمل، ج١ ق٢ ص ١١٧.

(٢) ابن دقماق: النفحة ص ٢١٧.

(٣) يلبغا الناصري: اليلبغاوي الأتابكي، مملوك يلبغا العمري، كان من كبار مماليكه، وتقدم ألف فى دولة الأشرف شعبان. "ابن تغري بردي: الدليل الشافي ج٢ ص ٧٩٣".

(٤) السلطان برقوق: أبو سعيد برقوق بن آنص سلطان الديار المصـــرية والقـــائم بدولـــة الجراكسة، كان أصله مملوكًا ليلبغا العمري، وهو الذي سماه برقوق، تولى السـلطنة فـــي ٧٨٤هــ/١٣٨٢م، وظل فيها حتى وفاته فى ٨٠١هــ/١٣٩٨م. "ابن تغري بردي: المنهـــل ج٣ ص ٢٨٥".

(٥) الصيرفي، علي بن داود الخطيب الجوهري: نزهة النفوس والأبـــدان فـــى تـــواريخ الزمان. تحقيق: حسن حشبي، القـــاهرة، دار الكتـــب والوثـــائق القوميـــة، ١٩٧٠م، ج١ ص١١٩.

(٦) سولى بن قراجا بن دلغادر التركماني، صاحب أبلستين، كان غير مشكور السيرة، كثير الشرور والفتن، قتل فى ٨٠٠ هــ/ ١٣٩٧م. "ابن تغري بردي: النجوم، ج١٢ ص١٦٦".

السلطان طائعًا، فكتب السلطان إلى يلبغا بحبسه وإرساله إلى القاهرة[1]، فقيد وحبس بالقلعة، حتى حضر رجل ومعه كتاب إلى نائب القلعة بإطلاقه، ولم يكن ذلك حقيقة، بل بتدبير بين يلبغا وسولي بن قراجا، فدخلت الحيلة على نائب القلعة وأطلقه، ففر ليلاً، فأصبح يلبغا يرسل في طلبه ظاهريًا، فأرسل خلفه من سار في طريق غير الطريق التي سلكها سولي، فلما بلغ ذلك السلطان اتهم نائب القلعة به، حتى تبين أن ذلك من فعل وتدبير يلبغا فعزله وحبسه[2].

ولنائب القلعة دور كبير أثناء الملمات، إذ بتصرفه فيها يؤدي إلى إما حفظ البلاد، وإما ضياعها، وهذا يتوقف أيضًا على ولائه أو خيانته، مثال ذلك ما كان في ٧٩١هـ/١٣٨٨م حينما وردت الأخبار بأن يلبغا الناصري نائب حلب أظهر العصيان ضد السلطان برقوق، ونزل الناصري على قلعة حلب فتسلمها من نائبها محمد بن يلبان الناصري[3]، بل إنه نزل إلى الناصري في الباطن وحلف له أنه معه لكنه لا يستطيع إعلان ذلك صراحة خوفًا على أولاده[4]،

(١) العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان. السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة. تحقيق: إيمان عمر شكرى، القاهرة، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٢م، ص١٧٨.

(٢) العسقلاني: إنباء الغمر، ج٢ ص ١٨٩. وقد ذكر ابن قاضي شهبة أن سولى بن قراجا هرب دونما ذكر لتدبير أو حيلة من جانب يلبغا الناصري. "تاريخ ابن قاضي شهبه، ج٣ ص١٥٥ ص١٥٦".

(٣) محمد بن يلبان الناصري: أحد أكابر الأمراء بحلب، ولاه السلطان برقوق على نيابة قلعتها، وتمت مصادرته من قبل منطاش على مال كثير، ثم قتله فى ٧٩٢هـ/١٣٨٩م. "ابن قاضي شهبه: تاريخ ابن قاضي شهبه، ج٣ ص ٣٦٣./ العسقلاني: إنباء الغمر، ج٣، ص٤٧".

(٤) ابن صصرى: الدرة المضيئة ص٤/ ابن تغري بردي: المنهل الصافي ج٩ ص ٣٣٥.

فلما علم السلطان برقوق بذلك خرج إلى حلب لمحاربة الناصري، فهُزم السلطان برقوق(١)، ثم سار الناصري إلى دمشق فملكها، وتوجه إلى قلعتها، وتسلمها أيضًا من نائبها شهاب الدين الحمصي(٢) الذي نزل إلى الناصري بمفاتيح القلعة بعدما نصحه البعض بذلك، إذ قيل له: "هذا الرجل منصور من عند الله تعالى، فصان دماء المسلمين.. وقد كسر عساكر المصريين، وما بقى يقف قدامه أحد"، فاستصوب ابن الحمصي هذا الكلام وسلم الناصري مفاتيح القلعة، وكافأه الناصري مقابل ذلك بأن خلع عليه وأمره أن يرجع إلى القلعة نائبًا بها، فبقى بها نائبًا ولكن هذه المرة من جهة الناصري وليس السلطان(٣)، وما فعله كل من نائب قلعة حلب ونائب دمشق يعد خيانة للسلطان برقوق بغض النظر عما دفعهم إلى تلك الخيانة من أسباب الخوف على الأبناء أو على النفس، أو الاستماع إلى نصح الغير، ومهما كان فقد كان يستوجب عليهما حفظ القلعة وطاعة من ولاّهم عليها حتى لو بذلا في سبيل ذلك حياتهما.

وإذا كانت خيانة نائب قلعة حلب ونائب قلعة دمشق للسلطان برقوق سببًا في فقده ملكه في دمشق وحلب، فإن نائباه على قلعتي صفد وصرخد وإخلاصهما له كان سببًا في عودته إلى عرشه، وبيان ذلك: أن السلطان برقوق قد قرر الخروج إلى دمشق ومنها يعمل على استعادة ملكه من الناصري، وعاونه على قصده بعض الأمراء المؤيدين له، وساعده نائب قلعة

---

(١) ابن خلدون: العبر ج٥ ص ٤٨٤/ ابن شاهين : نيل الأمل ج١ ق ٢ ص ٢٧١.

(٢) شهاب الدين بن الحمصي: كان معروفًا بالاجتهاد والصلاح، تولى نيابة القلعة في ٧٨٥هـ/١٣٨٣م، وتوفى في ٧٩١هـ/١٣٨٨ م. "ابن قاضي شهبه: تاريخ ابن قاضي شهبه، ج٣ ص ٣٠٤".

(٣) ابن صصري: الدرة المضيئة، ص١٧/ العسقلاني: إنباء الغمر، ج٢ ص ٣١٩.

صفد على تملكها، فقويت شوكته بذلك[١]، وليس هذا كل شئ، بل انضم إلى برقوق أيضًا نائب قلعة صرخد، والذي كان عنده جماعة محبوسين من مماليك السلطان، فأخرجهم، وأحسن إليهم، وأخذ كل شئ في القلعة وأتى به إلى السلطان[٢]، فتوجه برقوق بجمعه إلى دمشق، وأرسل إلى سيدي ملك ابن أخت جردمر أخو طاز[٣] نائب قلعة دمشق بجهة الناصري يسأله أن يسلمه القلعة[٤]، فامتنع نائبها، وعمل على تحصينها، ونصب المنجانيق، فالتحم الفريقان في وقعة شقحب، وانهزم أهل الشام، وكان النصر حليف السلطان برقوق[٥].

كما قد يفقد نائب القلعة حريته ويدفعها ثمنًا للصراعات التي تدور بين السلاطين والأمراء، ففي ٧٩٢هـ/١٣٨٩م غلب منطاش[٦] على دمشق، فعصى عليه ابن الحنش في قلعة بعلبك، فأخرج إليه منطاش العساكر

---

(١) المقريزي: السلوك ج٣ ق٢ ص ٦٧٠.

(٢) ابن صصري: الدرة المضيئة ص٢٦.

(٣) سيدي ملك ابن أخت جردمر أخو طاز: لما غلب الناصري على السلطان برقوق وتملك دمشق فإنه جعل نائبًا لها من قبله جردمر أخو طاز، وجعل ابن أخته سيدي الملك نائبًا على قلعتها، فلما اختلف الناصري ومنطاش وغلب منطاش على دمشق، فإنه قام بالقبض عليهما ومصادرة أموالهما فى٧٩٢هـ/١٣٨٩م، ثم لما استرد السلطان برقوق دمشق أخرجهما من الحبس وأمر بقتلهما فى٧٩٣هـ/١٣٩٠م. "ابن صصري: الدرة المضيئة ص ٥٩ ص ٧٤".

(٤) ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبه، ج٣ ص ٢٩٦.

(٥) الصيرفي: نزهة النفوس ج١ ص ٢٦٤.

(٦) منطاش: تمربغا الأفضلي، من المماليك الأشرفية ونائب ملطية للظاهر برقوق، لكنه أظهر العصيان عليه، كان منطاش أهوج، كثير العطايا، شجاعًا، عالى الهمة، قتل بحلب ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م، وجاءت رأسه إلى القاهرة فطيف بها. "العسقلاني: الدرر الكامنة ج٦ ص١٢٨ ص١٣٠".

لمحاربته، واستطاع أخذ قلعة بعلبك منه، وتم القبض على ابن الحنش ومعه الكثير، منهم تنكز بغا نائب قلعة بعلبك، وأمر منطاش بتسميرهم وتوسيطهم في قلعة دمشق[١].

وقد يتم الضغط على نائب القلعة وتهديده في أهله ليستجيب لأوامر من يهدده، وذلك مثلما حدث في ٧٩٢هـ/١٣٨٩م مع نائب قلعة حلب حسين بن الفقيه الذي أغلق أبواب حلب وقلعتها ومنع كمشبغا[٢] نائبها من الدخول إليها لأنه عصى على السلطان برقوق، وانضم إلى الناصري، فلما لم يستطع كمشبغا دخول حلب، قام مع مجموعة من المماليك صحبته بالقبض على ابن نائب القلعة، وهددوه بقتل ولده إذا لم يفتح لهم، وكان أن فتح لهم الباب فدخلوها وملكوها[٣].

ويحدث أن يتوسط ويشفع نائب القلعة عند السلطان لنائب البلد التي بها القلعة، ففي ٧٩٢هـ/١٣٨٩م وشى أمراء حلب بأمير نعير[٤] وأشاعوا عنه أنه خرج عن الطاعة وانشق عن السلطان برقوق، فكان أن حضر نائب قلعة حلب

---

(١) ابن صصري: الدرة المضيئة، ص٥٧، ص٥٨.

(٢) كمشبغا: كمشبغا بن عبد الله الحموي اليلبغاوي الأتابكي نائب حلب، كان من مماليك يلبغا العمري، مات محبوسًا بالاسكندرية فى١٨٠١هـ/١٣٩٨م. "ابن تغري بردي: الدليل الشافي ج٢ ص٥٦٠/ المنهل ج٩ ص١٤١".

(٣) العيني: عقد الجمان – السلطان برقوق، ص٢٥٧/ العسقلاني: إنباء الغمر، ج٣ ص٢٠ ص٢١.

(٤) أمير نعير: الأمير نعير بن محمد بن حبار، من عرب مهنا، قتله جكم بعد أن مسكه وحبسه فى قلعة حلب وذلك فى ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م. "الصيرفي: نزهة النفوس ج٢، ص ٢٣٣".

الأمير علاء الدين أقبغا الظاهري[١] أمير أخور[٢] إلى مصر، وأخبر السلطان بأن أمير نعير لم يخرج عن الطاعة، وبيّن له أن ذلك من فعل الأمراء الذين لم يسلموه التشريف الذي وصل إليه منه – أي السلطان – ليشيعوا عليه عصيانه بعدم قبوله تشريف السلطان، فقبل السلطان وساطة نائب قلعة حلب وخلع عليه[٣].

وحياة نائب القلعة معرضة دائمًا للأخطار، وبخاصة قلعة دمشق، فمنهم من فقد حياته فى سبيل المحافظة عليها وأداء واجبه، وذلك مثلما حدث في ٧٩٤هـ/١٣٩١م حينما هجم على القلعة خمسة عشر نفرًا من المماليك أتباع منطاش، فاقتحموها وأخرجوا من كان مسجونًا بها من المنطاشية[٤]، وثاروا جميعهم وقتلوا نائب القلعة وجماعة معه وملكوا القلعة[٥].

في حين ذكر ابن صصري أن نائب القلعة لم يقتل، وإنما اختفى، فقال: إنه بعد هجوم أتباع منطاش على القلعة، وتملكها، اختفى نائب القلعة، فركب حاجب الحجاب بالعساكر ونزل على القلعة، فلما رأهم المنطاشية خافوا فهربوا

(١) علاء الدين أقبغا الظاهري برقوق، من خواص أستاذه الظاهر، أنعم عليه بإمرة عشرة، ثم بطبلخاناه، ثم رسم له بنيابة غزة، ثم اعتقل وقتل فى ٨٠٢هـ/١٣٩٩م. "السخاوي، محمد بن عبد الرحمن: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت، د. ت، ج٣، ج٢ ص٣١٨".

(٢) أمير أخور: إليه أمر الخيول والإصطبل. "السبكي: معيد النعم ص ٣٧".

(٣) ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة ج٣ ص ٣٤٦.

(٤) الصيرفي: نزهة النفوس، ج١ ص ٣٤٣.

(٥) ابن شاهين: نيل الأمل ج١ ق٢ ص ٣١٥/ ابن إياس: بدائع الزهور ج١ ق٢ ص٤٥١.

وتفرق شملهم، وعندئذ ظهر نائب القلعة[1]. وإن صحت رواية ابن صصري هذه ففيها دليل على تخاذل نائب القلعة لتركه واجبه المنوط به، وحنثه في الأيمان التي حلف بها للسلطان حين توليته من أنه لن يأل جهدًا، ولن يقصر في حفظها ورد المعتدين عنها.

ونائب القلعة من اختصاصاته تسلم المنشقين وتسليمهم إلى السلطان، كما أن لنائب البلد أن يأخذ لنفسه من نائب القلعة من الضمانات ما يثبت أنه قام بعمله خير قيام مثل الإشهاد والإثبات وغير ذلك، ومن هذا ما كان في ٧٩٥هـ/١٣٩٢م حينما تم إلقاء القبض على منطاش، فسُلم إلى نائب حلب الذي بدوره سلمه إلى نائب القلعة[2]، وأشهد عليه نائب حلب بالتسليم بحضور القضاة، وأرسل الشهادة على نائب القلعة إلى السلطان برقوق[3].

وقسوة نواب القلاع وظلمهم وسوء معاملتهم للرعية قد يؤدي بهم إلى القتل، ففى ٧٩٣هـ/١٣٩٠م استناب السلطان برقوق على قلعة دمشق سودون باق[4]، فظلم الناس بالمصادرة وسفك الدماء، مما أدى إلى مقتله[5].

ومثله جمال الدين يوسف الهيذباني الذي تولى نيابة قلعة دمشق في ٧٩٦هـ/١٣٩٣م ثم عزل عنها في ٧٩٨هـ/١٣٩٥م لشدة ظلمه، حتى فرح

(١) الدرة المضيئة، ص ١١٣ ص ١١٤.

(٢) العسقلاني: إنباء الغمر ج٣ ص ١٥٥/ العيني: عقد الجمان، السلطان برقوق ص٣٦٦.

(٣) ابن دقماق: النفحة المسكية ص ٢٦٧.

(٤) سودون باق: من أمراء الألوف الخالصة للسلطان ومن أهل عصبيته، أخلع عليه باستقراره أمير سلاح، ثم قبض عليه بعدما تولى نيابة دمشق فى ٧٩٣هـ/١٣٩٠م. "ابن خلدون: العبر، ج٥ ص٥٤٧/ ابن تغري بردي: النجوم ج١١ ص ٣٢١".

(٥) العسقلاني: إنباء الغمر ج٣ ص٦٠.

أهل القلعة بعزله[١]، لكنه عاد مرة أخرى ليتولى نيابة القلعة في ٨٠١هـ/١٣٩٨م[٢]، إلا إنه لم يمكث فيها طويلاً، إذ تم إمساكه من قبل نائب الشام الأمير تنم[٣] الذي ما إن بلغه موت الظاهر برقوق، وأن أمير حاج الأشرف شعبان قد تسلطن بعده – وكان يكره هذا الأمير – فهّم تنم بالعصيان، واستدعى جمال الدين يوسف الهيذباني نائب القلعة بحجة أن الملك الظاهر برقوق طلبه إلى الديار المصرية – ولم يكن خبر موت السلطان برقوق قد انتشر – فلما نزل إليه أمسكه[٤]، وأرسل من تسلم قلعة دمشق، إلا إنه لما أُعلن بعد ذلك أن الذي تسلطن هو الناصر فرج بن برقوق[٥] فقد عاد تنم إلى الطاعة[٦]، لكن لم يعد الهيذباني إلى نيابة قلعة دمشق، إذ تولاها جاني بك

(١) ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة، ج٣ ص ٥٢٩/ ابن صصري: الدرة المضيئة، ص١٧٢.

(٢) المقريزي: السلوك، ج٣ ق٢ ص ٩٢٨/ ابن إياس: بدائع الزهور، ج١ ق٢ ص ٥١٩.

(٣) تنم: تنم بن عبد الله الحسني الظاهري، أصله من مماليك الظاهر برقوق، تولى نيابة دمشق، فنالته السعادة، وظل فيها مدة الظاهر برقوق، ثم عهد الناصر فرج حتى ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م. "ابن تغري بردي: المنهل ج٤ ص١٦٨".

(٤) ابن تغري بردي: النجوم ج١٢ ص ١٧٦/ المنهل ج١٢ ص ٢٥٨.

(٥) الناصر فرج بن الظاهر برقوق، جلس على عرش سلطنة المماليك ٨٠١هـ/١٣٩٨م، وكان عمره إذ ذاك دون العشر سنين، وتم أمره وطالت أيامه حتى ٨١٥هـ/ ١٤١٣م. "ابن تغري بردي: مورد اللطافة، ج٢ ص١٢١".

(٦) المقريزي: السلوك، ج٣ ق٣ ص ٩٦٦/ ابن إياس: بدائع الزهور، ج١ ق٢ ص ٥٤٦.

اليحياوي[١] في ٨٠١هـ/١٣٩٨م[٢]، وكان أن حضر جاني بك اليحياوي نائب قلعة دمشق إلى السلطان ومعه نسخة يمين الأمير تنم نائب الشام بإقامته على الطاعة[٣].

أما الهيذباني الذى عزله تنم فقد توفى في ٨٠٢هـ/١٣٩٩م، كان الهيذباني من قدماء الأمراء فقد ولد في ٧٠٤هـ/١٣٠٤م، وتأمر في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون، وتنقل في الولايات وولى تقدمة ألف، وصودر أكثر من مرة، وكان يكثر شتم الأكابر على سبيل المزاح، ويحتملون ذلك منه[٤].

وقد يتسبب عصيان أهل البلد لنائب قلعتها وعدم إطاعة أوامره في عدم تمكنه من الوفاء بوعده بحفظ القلعة، بل قد يؤدي الأمر إلى تمكن الأعداء منها، ففي ٨٠٣هـ/١٤٠٠م هجم تيمورلنك[٥] على حلب وأخذها[٦]، ثم توجه

(١) جاني بك اليحياوي الظاهري، أتابك العساكر بحلب، قتل فى واقعة حلب بساجورا في ٨٠٢هـ/١٣٩٩م. "السخاوي: الضوء اللامع، ج٣ ص ٧٨".

(٢) المقريزي: السلوك، ج٣ ق٣ ص ٩٦٩.

(٣) المقريزي: السلوك، ج٣ ق٣ ص٩٧١/ ابن إياس: بدائع الزهور، ج١ ق٢ ص ٥٤٦.

(٤) العسقلاني: إنباء الغمر، ج٤ ص ١٨٨ ص ١٨٩.

(٥) تيمورلنك: الطاغية، صهر الملوك، ولد سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٧م، سُفك على يديه الكثير من الدماء، توفى ٨٠٧هـ/١٤٠٤م. "ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ج١ ص٢٢٤.

(٦) القلقشندي: مأثر الإنافة في معالم الخلافة. تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب، بيروت، د.ت، ج٢ ص١٩٢/ القرماني، أحمد بن يوسف: أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ. تحقيق: أحمد حطيط، فهمي سعد. ط١، عالم الكتب – بيروت، ١٩٩٢م، م٢ ص٢٩٩.

للاستيلاء على دمشق وقلعتها، فنادى نائب قلعة دمشق بالاستعداد لخروجهم[1]، إلا أن أهل دمشق فضلوا تسليم البلاد إلى تيمورلنك بدون حرب خوفًا منه، وأن الأسلم أن يطلبوا منه الصلح والأمان، واختاروا القاضي تقي الدين إبراهيم بن محمد بن مفلح الحنبلي[2] ليحدثه في الصلح خاصة بعدما علم أهل دمشق أن السلطان الناصر فرج اختلف مع أمراءه، ولن يخرج لصد التتار عنهم[3]، فطلب تيمورلنك أن يُحمل إليه من كل نوع من أنواع الطعام والشراب مما في دمشق ووافقهم على الصلح، فلما جهزوا له ما أراد منعهم نائب القلعة من أن يحملوا ذلك إليه، وهددهم بحريق المدينة[4]، فلم يلتفتوا إلى قوله، بل قالوا له: "أنت أُحكم على قلعتك، ونحن نَحكم على بلدنا"، وحملوا إلى تيمورلنك ما أراد[5]، أما نائب القلعة فقد ظل ممتنعًا بها، وقد حاصره تيمورلنك، فخرب ما بين القلعة والجامع بالحريق، إذ رمى عليها بالمدافع حتى لا تدخل تحت الحصار، فبنى تيمورلنك مع التتار قلعة أمامها حتى يستطيع الرمي منها على قلعة دمشق، وقاتلوا منها أهل القلعة التي لم يكن بها إلا عدد قليل يدافع عنها مع النائب، فلما طال عليهم الأمر، ويئسوا من نجدة السلطان لهم، طلبوا الأمان

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم ج١٢ ص ٢٣٨.

(٢) تقي الدين إبراهيم بن مفلح: قاضي قضاة الحنابلة بدمشق، ولد في ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م، حفظ القرآن ورحل إلى مصر ودرس وأفاد وحمدت سيرته، ثم عاد إلى دمشق، وتوفي ٨٠٣هـ/١٤٠٠م. "السخاوي: الضوء اللامع، ج١ ص١٦٧ ص١٦٨.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم ج١٢ ص ٢٣٦/ ابن إياس: بدائع الزهور، ج١ ق٢ ص٦٠٩.

(٤) المقريزي: السلوك ج٣ ق٣ ص ١٠٤٩/ القرماني: أخبار الدول م٢ ص ٣٠١.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم ج١٢ ص ٢٤٠.

من تيمورلنك، وسلموها له بعد تسعة وعشرين يومًا من النزال[1]. ولا يلام نائب القلعة هنا على تسليمه القلعة بالأمان، فقد بذل في المدافعة عنها ما وسعه أن يفعل، في الوقت الذي تخلى عنه فيه أهل دمشق لخوفهم، وإذا عُذر أهل دمشق في ذلك لخوفهم، فإن الذي لا يُعذر في ضياع دمشق هو السلطان، الذي ترك البلاد نهبًا للتتار، ولم يخرج للتصدي لهم.

وقد يهرب نائب القلعة في حالة الأخطار بدلاً من التصدي لها والقيام بواجباته حيال القلعة وأهلها، بل قد يصحبه في فعله هذا نائب البلد، ففي ٨٠٧هـ/١٤٠٤م فر نائب حلب الأمير دمرداش[2] ومعه نائب القلعة، وذلك لما علما بقدوم الأمير جكم إلى[3] حلب للاستيلاء عليها، فلما تصدى عدة من أمراء حلب لجكم وصار عنها، رجع نائبا البلد والقلعة إلى حلب مرة أخرى[4].

---

(١) المقريزي: السلوك، ج٣ ق٣ ص ١٠٤٩/ القلقشندي: مأثر الإنافة، ج٢ ص١٩٢.

(٢) الأمير دمرداش المحمدي الظاهري برقوق، تولى نيابة طرابلس، ثم أتابكية حلب، ثم نيابة حماة، ثم استقر فى نيابة حلب فى ٨٠٢هـ/١٣٩٩م، كان معظمًا للعلماء كريمًا، قتل سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م. "السخاوي: الضوء اللامع، ج٣ ص٢١٩".

(٣) الأمير جكم: سيف الدين جكم، كان ملكًا حازمًا صارمًا دينًا، إلا إنه فى أخر عمره سفك الدماء، ومن محاسنه أنه بني قلعة حلب بعد أن أخربها تيمورلنك فى ٨٠٣هـ/١٤٠٠م، وتوفى جكم فى ٨٠٩هـ/١٤٠٦م. "الصيرفي: نزهة النفوس، ج٢، ص٢٣٢".

(٤) المقريزي: السلوك ج٣ ق٣ ص ١١٦٦/ ابن إياس: بدائع الزهور ج١ ق٢ ص ٧٠٦.

وقد يقتل نائب القلعة جزاء خيانته السلطان، وذلك كما في ٨١٠هـ/ ١٤٠٧م حينما قُتل منطوق[١] نائب قلعة دمشق، وسبب مقتله أن السلطان الناصر فرج لما قبض على كل من الأمير يشبك[٢] والأمير شيخ[٣] اللذين تمردا، وثارا ضده، فإنه أمر منطوق نائب القلعة بحبسهما لثقته به[٤]، فلما حُبسا بالقلعة خدعا نائبها، ووعداه، وأوسعا له في الأماني، وبإغداق المال عليه[٥]، فانخدع وعمل على إخراجهما والهرب معهما بأن تحيّل على من عنده من المماليك، وأوهمهم بأن السلطان أمر بقتل الأميرين، فصدقوه، فأخرجهما

(١) منطوق: سيف الدين منطوق نائب قلعة دمشق، قتل فى ٨١٠هـ/١٤٠٧م بأمر من الملك الناصر فرج، لأنه تواطأ مع عدويه شيخ ويشبك وأخرجهما من الحبس. "ابن تغري بردي: النجوم، ج١٣ ص ١٧٠". ويسميه العيني منتوق. "السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي. تحقيق: فهيم محمد علوي شلتوت، ط٢، دار الكتب والوثائق المصرية، ١٩٩٨م، ص٢٥١".

(٢) يشبك: يشبك بن عبد الله الأتابكي الشعباني الظاهري برقوق، ولي الخازندارية في أيام أستاذه برقوق، ثم ولي الدودارية في دولة الناصر فرج، ثم صار أتابك العساكر، قتله نوروز الحافظي ببلعلبك فى ٨١٠هـ/١٤٠٧م. "ابن تغري بردي: الدليل الشافي ج٢ ص٧٨٤".

(٣) شيخ: أبو النصر شيخ بن عبد الله المحموي الظاهري، ولي السلطنة في ٨١٥هـ/١٤١٢م، كان أصله من مماليك الظاهر برقوق ثم اعتقه ورقاه، انتهت سلطنته في ٨٢٤هـ/١٤٢١م. "ابن تغري بردي: مورد اللطافة ج٢ ص ١٣٦".

(٤) مجهول: تاريخ الملك الأشرف قايتباي. يؤرخ من عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ٥٥٤هـ حتى عهد الأشرف قايتاباي٨٧٧هـ. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٩٥.

(٥) الصيرفي: نزهة النفوس ج٢ ص ٢٤٠/ ابن تغري بردي: المنهل ج١٢ ص ١٢١.

على أن يقتلهما، وفر بهما[١]، فلما علم السلطان بالأمر أرسل ورائهم ليدركهم، فلم يدرك غير منطوق لثقل بدنه[٢]، فتمت محاربته والانتصار عليه، ثم قُتل، وقطعت رأسه، وطيف بها في دمشق، وعلقت على سور قلعتها، أما شيخ ويشبك فقد فرا إلى حلب[٣].

وقد يحتاط نائب القلعة لنفسه، فيتخذ من الإجراءات ما يكفل له السلامة وعدم المساس به، ففي ٨١٣هـ/١٤١٠م علم السلطان الناصر فرج أن شيخ ونوروز[٤] قررا الاستيلاء على دمشق، فخرج السلطان إليهما لمحاربتهما، وجعل بقلعة الجبل نائبًا لها الأمير كمشبغا الجمالي[٥]، فلما علما شيخ ونوروز بمسير السلطان إلى الشام، فرا منها إلى مصر وملكا الكثير من بلادها، حتى وصلا إلى القلعة وبها الأمير كمشبغا[٦]، فتراسلا معه في أمر الصلح على أن يسلم لهما القلعة، فاشترط نائب القلعة أن يأتي القضاة حتى يحلف نوروز

---

(١) القلقشندي: مأثر الإنافة ج٢ ص ٢٠٣.

(٢) العيني: السيف المهند ص ٢٥١/ ابن تغري بردي: النجوم ج١٣ ص ١٧٠.

(٣) العسقلاني: إنباء الغمر ج٦ ص ٦٠/ ابن شاهين: نيل الأمل ج١ ق٣ ص ١٥٥.

(٤) نوروز: الأمير سيف الدين نوروز بن عبد الله الحافظي، توفى ٨١٧ هـ/ ١٤١٤م. "ابن تغري بردي: المنهل ج٢ حاشية ص ٤٦٧".

(٥) كمشبغا الجمالي: كان من أكابر المماليك الظاهرية برقوق، تركي الجنس، تولى نيابة قلعة الجبل في الدولة الناصرية فرج، واستمر من جملة أمراء الطبلخانات في صدر الدولة الأشرفية برسباى، إلى أن أخرجه الملك الأشرف عن إقطاعه، فلزم داره إلى أن مات في ٨٣١هـ/١٤٢٧م، وهو في عمر الثمانين. "ابن تغري بردي: النجوم، ج١٥، ص١٥٠، ص١٥١".

(٦) العيني: السيف المهند ص ٢٥٤/ المقريزي: السلوك ج٤ ق١ ص ١٣٦ ص١٣٧.

وشيخ أمامهم أنهما لن يؤذياه ومن معه من الأمراء حين تسليم القلعة لهما[١].ومع ما في تسليم نائب القلعة لقلعته بالصلح مع المخالفين للسلطان ما فيه من عدم التزام نائب القلعة في الدفاع عنها حتى ولو بذل في سبيل ذلك حياته، فإن امتلاك شيخ ونوروز أكثر البلاد المصرية جعله ييأس من النصر عليهما أو استطاعة التصدي لهما، فما كان منه إلا الموافقة على الصلح، ولأن الصلح مع أعداء السلطان ويخاف عواقبه، فقد لجأ إلى طلب إشهاد القضاة وحضورهم إبرام هذا الصلح وتسليم القلعة، حتى يكون بمأمن من الغدر.

وقد يولى الخليفة نائبًا على البلاد، ويفوض لهذا النائب أن يولى من جهته من شاء من نواب القلاع، وقد حدث هذا لما امتد الصراع بين السلطان الناصر فرج من جهة، وبين كل من شيخ ونوروز من جهة أخرى، وحسمًا لهذا الصراع فقد قرر أمير المؤمنين الخليفة المستعين[٢] خلع الملك الناصر وتولية شيخ على السلطنة، ونوروز نائبًا على الشام وذلك في ٨١٥هـ/١٤١٢م، وقد فوض الخليفة المستعين إلى نوروز أن يولي على القلاع الشامية من النواب من أراد من غير مراجعته في ذلك، غير أنه يُطالع الخليفة بمن يستقر به في شئ من ذلك ليجهز إليه تشريف التوليه[٣].

---

(١) الصيرفي: نزهة النفوس ج٢ ص ٢٧٠.

(٢) المقريزي: السلوك، ج٤ ق١ ص ٢٢٩/ ابن تغري بردي: النجوم ج١٣ ص٢٠١.

(٣) يشبك بن أزدمر الظاهري برقوق، عمل خاصكيًا، وجعله الناصر أمير عشرة، ثم رأس نوبة النوب، ثم ولي نيابة حماة، ثم حلب، كان أميرًا جليلاً شجاعًا، قتل في٨١٧هـ/١٤١٤م. "السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠ ص٢٧٠".

وقد يستدعى أهالي البلاد نائب قلعة لبلد غير بلدهم؛ وذلك لتخليصهم من ظلم نائبهم، ويسلمون له البلد ليتولى نيابتها بقرار من الأهالي، وذلك مثلما حدث في ٨١٦هـ/١٤١٣م حينما أرسل أهل حلب إلى الأمير دمرداش نائب قلعة الروم، فلما جاءهم ملكوه على حلب، وكان السبب في ذلك أن نائب حلب الأمير يشبك بن أزدمر الظاهري[١] من جبهة نوروز قد أساء السيرة في أهلها وأخذ أموالهم بالباطل، فأغلق أهل حلب عليه الأبواب لما خرج منها، ولم يمكنوه من الدخول إليها، فتحارب معهم وفر مهزومًا[٢]، وكان ما كان من إرسالهم لنائب قلعة الروم.

وقد يخرج نائب قلعة لمحاربة نائب قلعة أخرى إذا ما ظهر منه العصيان، ففي ٨١٨هـ/١٤١٥م خرج قاني باى نائب الشام عن طاعة السلطان المؤيد شيخ، وانضم إليه جاني بك الحمزاوي[٣] نائب قلعة الروم، وغيره من الأمراء، فقرر الملك المؤيد الخروج لقتالهم، فلما اجتمع العصاة بحلب عمل نائب قلعة حلب على محاربتهم، فنادى بالنفير العام، ونزل بمن عنده من العسكر الحلبي وقاتلهم، حتى وصل السلطان بعسكره، فانضم عسكر السلطان إلى العسكر

---

(١) الصيرفي: نزهة النفوس ج٢ ص ٣٢٣ ص ٣٣٣.

(٢) قاني باي: قاني باي بن عبد الله المحمدي الظاهري برقوق نائب الشام، وليها من قبل المؤيد شيخ، ثم خرج عليه، فانكسر، وقبض عليه، وقطعت رأسه في٨١٨هـ/١٤١٥م. "ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ج٢ ص٥٢٩.

(٣) جاني بك الحمزاوي: الأمير سيف الدين بن عبد الله، أصله من مماليك الأمير سودون الحمزاوي الظاهري، تولى جاني بك على بعض القلاع بالبلاد الشامية، ثم صار حاجب حجاب مدينة طرابلس، ثم ولاه الملك الأشرف نيابة غـزة، تـوفى بـالقرب مـن بعلبـك ٨٣٦هـ/١٤٣٣م. "ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٤ ص ٢٢٢ ص ٢٢٣.

الحلبي وقاتلا العصاة، فانهزم عسكر السلطان، ثم ركب إليهم السلطان بنفسه، فولوا الأدبار هاربين(١).

ونائب القلعة عليه التحفظ على المحبوسين مهما علت مكانتهم، فيتعهد أمرهم، ففي ٨٢٠هـ/١٤١٧م أمر السلطان المؤيد بالقبض على نائب الشام ألطنبغا العثماني(٢) وذلك لعصيانه على السلطان، فقبض عليه، وسلم لنائب قلعة دمشق فسجن بها(٣).

ونائب القلعة أحياناً يبعث بالكتب والبشرى مباشرة إلى السلطان بفتح أو نصر أو قضاء على ثائر أو متمرد دونما الحاجة إلى الرجوع إلى نائب السلطنة، وذلك مثلما فعل نائب قلعة الروم في ٨٢٠هـ/١٤١٧م، والذي بعث إلى السلطان المؤيد بكتاب يبشره فيه برحيل قرا يوسف(٤) عن حلب وعودته إلى بلاده بعد مصالحته مع قرا يلك(٥) على تسلم قلعة صور، وتعويض قرا يلك عنها بألف ألف درهم، ففرح السلطان بالخبر، واطمئن أهل حلب(٦).

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم ج١٤ ص ٣٢ ص ٣٧.

(٢) الطنبغا العثماني بن عبد الله الظاهري، تولى نيابة دمشق، ثم نُفي إلى القدس بطلاً، وتوفى ٨٢١هـ/١٤١٨م. "ابن تغري بردي: المنهل الصافي ج٢ ص ٤٦٩".

(٣) العسقلاني: إنباء الغمر ج٧ ص ٢٥٣/ ابن شاهين: نيل الأمل، ج١ ق٣ ص ٣٢١.

(٤) قرا يوسف: متملك بغداد وتبريز والموصل وأربل وتكريت وما والاها، توفى ٨٢٣هـ/١٤٢٠م. "السخاوي: الضوء اللامع، ج٢ ص٢٨٠".

(٥) قرا يلك: ويسمى عثمان بن قطلوبك التركي الأصل، التركماني، أمير التركمان وصاحب ديار بكر وماردين وصاحب الرها من قبل الناصر فرج، كان من الرجال أصحاب القوة والشجاعة والإقدام، ولما تسلطن برسباى أخذ الرها منه وحبسه، مات ٨٣٩هـ/ ١٤٣٦م. "السخاوي: الضوء اللامع، ج٥، ص١٣٥، ص١٣٦".

(٦) المقريزي: السلوك ج٤ ق١ ص ٤١٧.

ونائب القلعة عين تراقب استقرار الأمور في البلد، وتراقب أهلها لمنع حدوث انشقاق أو تمرد، ففي ٨٢٠هـ/١٤١٧م تم القبض على أقباى[١] نائب حلب الذي عصى على السلطان المؤيد، وكان الذي ينقل أخباره وأخبار تحركاته للتمرد على السلطان هو الطنبغا المرقبي[٢] نائب قلعة حلب، فأمر السلطان بالقبض على أقباى وحبسه[٣].

ومثله في ٨٢٤هـ/١٤٢١م حينما خرج يشبك اليوسفي[٤] نائب حلب عن طاعة السلطان المؤيد ودبر للتمرد عليه، فلما أحس نائب قلعة حلب الأمير شجاع الدين بالشر من يشبك، فقد أخذ حذره منه، وحصن القلعة، وأراد يشبك

---

(١) أقباى بن عبد الله المؤيدي، الأمير سيف الدين نائب حلب ثم دمشق، نسبته إلى معتقه الملك المؤيد شيخ الذي قربه وأدناه، ثم خرج أقباى عن طاعة السلطان، فأمر السلطان بحبسه في دمشق وقتله، فقتل في ٨٢٠هـ/١٤١٧م. "ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٢ ص٤٦٨: ص٤٧٠".

(٢) الطنبغا المرقبي: كان من كبار مماليك المؤيد شيخ، ولاه المؤيد على قلعة المرقب من طرابلس فعُرف بالمرقبي، ثم عمل نائبًا لقلعة حلب فى ٨٢٠ هـ/١٤١٧م، ثم انتقل فى جملة مقدمي الألوف إلى أن استقر حاحب الحجاب بنفس العام، إلى أن أمسكه الأمير ططر مع من أمسكه من الأمراء المؤيدية، وحبس مدة ثم أطلق، ودام بلا وظيفة إلى أن أنعم عليه الظاهر جقمق بإمرة مائة مقدم ألف، فدام على ذلك إلى أن مات ٨٤٤هـ/١٤٤٠م. "المقريزي: السلوك، ج٤، ق٣، ص١٢٣٣./ابن تغري بردي: النجوم، ج١٥ ص٤٨٤ ص٤٨٥".

(٣) ابن شاهين: نيل الأمل ج١ ق٣ ص ٣٣٣.

(٤) يشبك اليوسفي المشد: نائب حلب، قيل عنه: إنه كان جاهلاً فاسقًا ظالمًا عسوفًا، اشتراه المؤيد، فعمله شاد الشراب خاناه، ثم تقدمة ألف، ثم أعطاه نيابة طرابلس، ثم نيابة حلب، قتل ٨٢٤هـ/١٤٢١م. "السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠ ص ٢٧٩".

الهجوم على القلعة، فرمي عليه نائبها السهام والحجارة، ففر من عند القلعة يتوعد نائبها، إلا إن السلطان بعث إليه الأمراء لقتاله حتى انتصروا عليه وقتلوه(١).

وقد يكون السلطان رحيمًا بنائب القلعة إذا ما عصى، ويكتفى بعزله فقط، مثلما حدث في ٨٢٥هـ/١٤٢٢م حينما اتفق إينال(٢) نائب صفد مع أخيه نائب قلعة صفد على عصيان السلطان الأشرف برسباي(٣)، وأخرجوا الأمراء المحبوسين من القلعة، إلا إنهم خافوا وتراجعوا عن عصيانهم، وقصدوا نائب الشام، فأظهروا عنده طاعتهم للسلطان، فبعث نائب الشام إلى السلطان مملوك من عنده ليخبر السلطان بطاعتهما، فرجع السلطان عن محاربتهما، إلا أنه عزلهما عن وظائفهما(٤).

وقد يُجمع على نائب القلعة وظيفة أخرى بجانب نيابته للقلعة، فيجمع بين الوظيفتين أو أكثر، ففي٨٢٧هـ/١٤٢٤م كان نائب قلعة الجبل الأمير حسين

(١) العسقلاني: إنباء الغمر ج٧ ص ٤٠٩ ص٤١٠.

(٢) إينال الناصري فرج: تأمر فى أيام أستاذه، وتأمر عشرة بعد المؤيد، ثم سار من رؤوس النوب فى الأمام الأشرفية، ثم ولى نيابة صفد، توفى ٨٥١هـ/١٤٤٨م. "السخاوي: الضوء اللامع، ج٢ ص ٣٢٧".

(٣) برسباي: سيف الدين أبو النصر برسباي الظاهري، كان من جملة مماليك الظاهر برقوق، ولي السلطنة ٨٢٥هـ/١٤٢٢م حتى ٨٤١هـ/١٤٣٧م. "ابن تغري بردي: مورد اللطافة، م٢ ص ١٥١".

(٤) الصيرفي: نزهة النفوس ج٣ ص٨.

بن أحمد البنهسي المعروف بتغري برمش، فأسند إليه برسباي في هذا العـــام مهمة أتابك العساكر، وكذلك إمرة الطبلخانة(١).

وتغري برمش هذا من جملة تركمان بهنس، خدم بحلب في أيام السلطان الظاهر برقوق، وتنقل في الخدم حتى صار أيام المؤيد وشيخ دوادارًا(٢)، فلما تسلطن الملك الأشرف برسباي اختص به وجعله من جملة الأمــراء، فكـــان بإمرة طبلخانة، وكان ممن اختاره أيضًا ليكون مقدمًا للعساكر الذاهبة للجهـــاد ومحاربة الفرنجة في٨٢٩هـ/١٤٢٦م(٣)، وولاه السلطان جقمق نيابة حلـــب، فعصاه وخرج عن طاعته، توفى ٨٤٢هـ/١٤٣٩م(٤).

وكذلك ممن جمع بين وظيفتين من نواب القلاع كان الأميـــر تنبـــك بـــن بردبك الظاهري الذي جمع له مع نيابة القلعة إمرة طبلخاناه عوضًا عن تغري برمش البهنسي(٥).

وتنبك هذا أحد أمراء العشرات ورأس نوبـــة، وأتابـــك العســـاكر بـــديار مصر(٦) وولى نيابة الاسكندرية فيما بعد(٧)، وكان "رجلاً دينًا خيرًا هينًا لينًـــا

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم ج١٤ ص٢٦٩.

(٢)المقريـــزي الســـلوك ج٤ ق٢ ص ٦٧٠/ العســـقلاني: إنبـــاء الغمـــر، ج٩ ص ٥٩/ الصيرفي: نزهة النفوس، ج٤، ص١٣٣.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم ج١٤ ص ٢٨٨.

(٤) ابن شاهين: نيل الأمل، ج٢ ق٥ ص٨٨.

(٥) العيني: عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان. تحقيق: عبد الرازق الطنطاوي القرمـــوط، ط١، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص٤٢٩.

(٦) ابن تغري بردي: النجوم ج١٤ ص٢٦٩/ المنهل ج٤ ص٢٤.

(٧) ابن شاهين: نيل الأمل ج١ ق٤ ص٣٢٧.

سليم الفطرة شحيحًا لا يتجمل"[١] ولي نيابة قلعة الجبل[٢] في أوائل دولة الملك الظاهر جقمق[٣] وهو أمير مائة ومقدم ألف، ثم صار أمير حاج المحمل، ثم ولي حجوبية الحجاب بالديار المصرية، إلى أن أمسكه السلطان الظاهر ونفاه إلى ثغر دمياط، ثم استدعاه في الخدمة السلطانية، ثم صار أمير مجلس في دولة الملك المنصور عثمان، أتابك للعساكر حتى مات في ٨٦٢هـ/١٤٥٨م[٤].

وكان نائب القلعة يقرع طبول الحرب عند قدوم السلطان لمباشرتها، ففي ٨٣٦هـ/١٤٣٣م خرج السلطان الأشرف برسباي إلى أمد[٥] لمحاربة قرا يلك، فخرج إليه نواب قلاع الشام لاستقباله، فدقوا الطبول الحربية وزعقت الزمور عند قدومه[٦].

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم ج١٦ ص ١٩٧.

(٢) ابن شاهين: نيل الأمل ج٢ ق ٥ ص٧٦.

(٣) الظاهر جقمق: تولى سلطنة المماليك فى ٨٤٢هـ/١٤٢٨م، وهو الرابع والثلاثون من ملوك الترك، والعاشر من الجراكسة، ظل سلطاناً حتى وفاته فى ٨٥٧هـ/١٤٥٣م. "ابن تغري بردي: مورد اللطافة، ج٢ ص١٥٨".

(٤) ابن تغري بردي: النجوم ج١٦ ص١٩٦.

(٥) آمد: بلد بالجزيرة فى الإقليم الخامس على نهر دجلة، وهو بلد قديم حصين ركين مبنى بالحجارة السود، أعظم مدن ديار بكر وأجلها قدرًا، وينسب إليها كثير من أهل العلم. "ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١ ص٥٦ ص٥٧".

(٦) ابن تغري بردي: النجوم ج١٥ ص١٥.

وقد يحصل نواب القلاع على مكافآت من السلطان ممن يساندونه، ففي ٨٤٠هـ/١٤٣٧م أنعم السلطان برسباي على نواب القلاع ممن كان في التجريدة التي خرجت معه إلى مكة بخمسة آلاف دينار(١).

وإذا عصى نائب القلعة أو تمرد على السلطان فإنه يُعاقب بحسب جرمه، وذلك مثلما حدث في ٨٤٢هـ/١٤٣٩م، حينما قُبض على تاني بك النوروزي نائب قلعة الجبل(٢)، وذلك لأنه من جملة المماليك الأشرفية الذين اعترضوا على أن يلي السلطنة نظام الملك جقمق الذي أصبح بيده الأمر والنهي بعد اختفاء الملك العزيز يوسف(٣) من القلعة(٤). وتاني بك هذا كان من أمراء طبلخاناه وعشرات، وأصبح نائبًا للقلعة حتى عزل وحبس، وكانت وفاته في ٨٤٥هـ/١٤٤٢م(٥).

وكثيرًا ما يحاول نائب البلد أن يستميل نائب القلعة إليه خاصة في حالة عصيانه أو خروجه عن طاعة السلطان، مثلما فعل تغري برمش نائب حلب في ٨٤٢هـ/١٤٣٩ حينما عصى على السلطان جقمق، وأراد من الأمير حطط الدقاق نائب قلعة حلب أن يمكنه منها، فلم يوافقه، ورمى عليه من

---

(١) المقريزي: السلوك ج٤ ق٢ ص ١٠٠١.

(٢) العسقلاني: إنباء الغمر ج٩ ص٣٨.

(٣) العزيز يوسف: التاسع من ملوك الجراكسة، تسلطن في ٨٤١هـ/١٤٣٧م وعمره أربع عشرة سنة، وخلع من السلطنة بعد خمسة وتسعين شهرًا لم يكن له فيها إلا مجرد الاسم فقط. "ابن تغري بردي: مورد اللطافة، ج٢ ص١٥٦ ص١٥٧".

(٤) المقريزي: السلوك ج٤ ق٣ ص١٠٨٠/ ابن تغري بردي: النجوم ج١٥ ص٢٤٦.

(٥) ابن شاهين: نيل الأمل ج٢ ق٥ ص١٥٥/ ابن إياس: بدائع الزهور ج٢ ص٢٣٣.

القلعة[1]، فلما لم يفلح تغري برمش في استمالة حطط، لجأ إلى الوقيعة بينه وبين السلطان، إذ ادعى أنه على طاعة السلطان، ولكنه فوجئ بحطط نائب قلعتها ومن معه من الأمراء بلبس السلاح، وأنهم قاموا على سور القلعة ونصبوا المكاحل وآلات الحرب، وأمروا من تحت القلعة من سكانها وأصحاب الحوانيت أن ينتقلوا من هناك، وأنه أرسل يسأل حطط عن سبب ذلك كله فلم يجبه، ثم عاود سؤاله فأجابه: أن السلطان هو مَن أمر بذلك وأمر بأخذك، ثم أعلم تغري برمش السلطان أنه باق على طاعته، إلا أن السلطان لم يعول على مقالته، لأنه ثبت عنده خروجه عن الطاعة[2]، فلم تفلح المحاولة الثانية لتغري برمش أن تأتي ثمارها في الوقيعة من السلطان وبين نائبه على القلعة، وهنا عاود تغري برمش العصيان، وحاصر القلعة بعد استمالته لبعض من أهل القلعة بمال كبير، فلما فطن الأمير حطط بمن وافق تغري برمش من أهل القلعة قبض عليهم، ورمي ببعضهم عليه في المنجنيق، وقتل جماعة منهم، وعلق رؤوسهم على القلعة، فخرج تغري برمش فارًا، وبعث الأمير حطط بكتاب البشرى بكسرة وانهزام تغري برمش وخروجه من حلب[3]. وهكذا تصدى حطط لمحاولة استيلاء نائب حلب عليها وعلى قلعتها، وعاقب بشدة وقسوة من ثبت ممالأته لنائب حلب من أهل القلعة.

---

(١) العيني: عقد الجمان. تحقيق: القرموط ص٥٢١/ مجهول: تاريخ الملك الاشرف قايتباي ص١٦١.

(٢) المقريزي: السلوك ج٤ ق٣ ص١١١/ ابن شاهين: نيل الأمل ج٢ ق٥ ص٧٢.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم ج١٥ ص٢٩٣/ العسقلاني: إنباء الغمر ج٩ ص٧٣.

أما حطط هذا فقد عزل عن نيابة القلعة في ٨٤٧هـ/١٤٤٤م، حيث رفع فيه أنه مع غيره من الأمراء قد استولوا على الحواصل السلطانية في إمرة تغري برمش على حلب، فحُبس حطط والأمراء الذين معه، وصودروا على خمسة وعشرين ألف دينار، كان نصيب حطط منها خمسين ألف دينار، فأُطلق للسعي في تحصيلها، أما وفاته فكانت في ٨٥٧هـ/١٤٥٤م[١].

ومثله من نواب القلاع الذين تصدوا لعصيان نواب البلاد كان الأمير فارس نائب قلعة دمشق، والذي تصدى لعصيان نائب دمشق إنيال الجكمي[٢]، ففي ٨٤٢هـ/١٤٣٩م قام إينال الجكمي بالدعاء جهرًا للملك العزيز يوسف، في حين أقام نائب القلعة الخطبة في القلعة للسلطان جقمق، فتصدى لمحاربته فارس نائب القلعة ومعه عدة من أمراء دمشق، إلا أن عسكر السلطان هُزم[٣]، وفر إينال برغم انتصاره، فاختفى بدمشق، حتى فطن له رجل، فدل عليه، فارس نائب القلعة، فبعث فارس في طلبه جماعة فأخذوه، وقام الأمير فارس بسجنه في القلعة[٤]، ومن هنا يظهر ويتضح الدور الكبير المنوط به نائب القلعة في حفظ البلاد من الأخطار، وسرعة تصديه للفتن قبل استفحال خطرها، ووأدها في مهدها.

---

(١) ابن تغري بردي: منتخبات من حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، حررها: وليم بير، كاليفورنيا، ١٩٣٠م، ج١ ص١٠، ج٢ ص٣٥٨.

(٢) إينال الجكمي: نائب حلب، توفى ٨٤٣هـ/١٤٣٨م "ابن تغري بردي: المنهل ج٨، حاشية ص٢٥٤".

(٣) ابن تغري بردي: النجوم ج١٥ ص ٢٩٢ ص ٣٠٦ / الصيرفي: نزهة النفوس ج٤ ص٧١.

(٤)المقريزي: السلوك ج٤ ق٣ ص ١١٣٨./ ابن شاهين: نيل الأمل ج٢ ق٥ ص ٨٦.

وقد توفى فارس هذا في ٨٤٧هـ/١٤٤٤م، إذ خرج أميرًا للسرية التي خرجت من دمشق لغزو رودس[١]، فأصابته جراحة بجبينه أزالت عقله، حتى مات[٢].

وقد يسند السلطان إلى نائب القلعة من الأعمال ما هو خارج عن اختصاصاته وذلك إذا ما رأى السلطان فيه من الصفات والمواصفات ما يؤهله ليتولى تلك الأعمال، ومن هؤلاء النواب الأمير تغري برمش بن جركس الذي يعرف بالفقيه، كان فقيهًا ومحدثًا فاضلاً، تولى نيابة قلعة الجبل بالديار المصرية ٨٤٤هـ/١٤٤١م، فهذا الرجل لتدينه وفقهه فقد كلفه السلطان جقمق بعدة مهام ينفذها، وهي ليست من صميم أعمال نواب القلاع، ومن ذلك ما كان في ٨٤٤هـ/١٤٤١م حينما أمر السلطان جقمق بتوجه القاضي الشافعي وتغري برمش الفقيه نائب القلعة إلى دير رُفِع إلى السلطان أنه أحدث فيه أبنية مشيدة، فأمرهما السلطان بالتوجه إلى هناك لكشف هذا الأمر، ولما توجها وجدا النصاري قد بالغوا في تحصينه، وجددوا أمام الباب حوش كبير من ثلاث جوانب، محتجين بأنه حماية من اللصوص التي قد تهجم عليهم، فحُكم

---

(١)جزيرة رودس: جزيرة ببلاد الروم، وبها دار صناعة سفن الروم، تبنى بها المراكب البحرية: "ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٣ ص ٧٨". وكان السلطان قد أمر في ٨٤٧هـ/١٤٤٤م بخروج الأمراء والجند لغزو جزيرة رودس لقتال من بها من الكفار، وقتل فيها جمع كبير من الطائفتين، وزاد عدد من قتل فيها من المسلمين على المائة. "ابن شاهين: الروض الباسم فى حوادث العمر والتراجم. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية – صيدا – بيروت، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ج١، ص٢٨٥.

(٢) السخاوي: التبر المسبوك فى ذيل السلوك. تحقيق: نجوى مصطفى كامل/ لبيبة إبراهيم مصطفى، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ج١، ص١٨٩.

عليهم بإزالته، وكان أن توجه نائب القلعة والقاضي الشافعي، فهدما الحوش بحضرتهم[١].

كما أنه في٨٤٥هـ/١٤٤٣م أسند السلطان جقمق إلى تغري برمش الفقيه المتحدث أن يجلس ليستمع الحديث من ثلاثة مشايخ أصحاب أسانيد حضروا من دمشق ليُحدثوا أمامه بما لهم المروى بمسند الإمام أحمد بن حنبل[٢]، فلما قدموا أنزلهم نائب القلعة عند برجها، وحدثوه بما عندهم[٣].

وتغري برمش الفقيه هو من فوضه السلطان في ٨٤٧هـ/١٤٤٤م لمحاسبة حطط نائب قلعة حلب حينما استولى على الحواصل السلطانية في إمرة تغري برمش البهنسي- كما سبق وذكر- فقام بالنظر في محاسبتهم، وقرر عليهم الأموال التي صودروا عليها[٤]، كما إنه كان من ضمن من أرسلهم السلطان في نفس العام إلى جزيرة رودس لقتال من بها من الكفار[٥] كما ذكر من قبل.

واستمرارًا في إسناد المهمات له لتدينه وفقهه، فقد أرسله السلطان جقمق في ٨٤٩هـ/١٤٤٦م ومعه القاضي الحنفي لكشف ما نسب إلى الصارم

---

(١) العسقلاني: إنباء الغمر ج٩ ص ١٣٥ ص ١٣٦.

(٢) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد المروزي البغدادي، الفقيه المحدث، ولد ١٦٤هـ/٧٨٠م، وتفقه على يد الإمام الشافعي، وله كتاب المسند، وهو أصل من أصول الأمة في الحديث، مات ببغداد في ٢٤١هـ/٨٥٥م."السيوطي: طبقات الحفاظ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ،ج١ ص١٩٠ ص١٩١".

(٣) السخاوي: التبر، ج١ ص ٤٤ ص٤٥.

(٤) ابن تغري بردي: حوادث ج١ ص ١٠.

(٥) ابن شاهين: نيل الأمل ج٢ ق٥ ص١٧٤.

إبراهيم بن رمضان من الأفعال والأمور المنكرة، حتى قيل عنه: إنه قد وقع في الكفر، لكن لم يثبت عليه ما يوجب قتله[1].

وبرغم ما كان عليه تغري برمش الفقيه من التدين والورع مما جعل السلطان يقربه منه ويدنيه إلا أن دوام الحال من المحال، إذ أمر السلطان جقمق في ٨٥١هـ/١٤٤٧م بنفيه إلى القدس لأنه صار يتكلم في كل وظيفة، ويداخل السلطان فيما لا يعنيه على غير رضى من السلطان[2]، وكان له إعجاب بنفسه فكان يقول: "إن الأمر سيصير إليه"[3]، حتى تكلم فيه أحد عند السلطان، وهو لا يعلم، فأمر السلطان بنفيه، وظل بالقدس منفاه حتى توفاه الله في ٨٥٢هـ/١٤٤٩م، وقد قارب الخمسين من عمره[4]. وقد كان المقريزي يمدحه ومقربًا منه، وقد ترجى المقريزي أن يتأخر موت تغري برمش عن موته ويقول: "إنما تكثر ديوني بعد موته" إشارة إلى أنه هو الذي كان يأخذ كتبه[5].

وقد ينحاز السلطان إلى نائب القلعة إذا كان مقربًا منه، محببًا لديه، فينصره على خصومه حتى مع إقامة الأدلة ضده، وذلك مثلما حدث في ٨٤٩هـ/١٤٤٦م مع شاهين الطوغاني نائب قلعة حلب، والذي أسند إليه السلطان جقمق نظر الأوقاف التي بحلب، فتوسعت سلطاته، وأعطى وقطع،

---

(١) ابن شاهين: الروض الباسم ج١ ص٣٢٨/ السخاوي: التبر، ج١ ص٢٦٦.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم ج١٥ ص٥٣١/ المنهل، ج٤ ص٧٣.

(٣) ابن شاهين: نيل الأمل ج٢ ق٥ ص٢٦٥.

(٤) الحنبلي: شذرات الذهب ج٧ ص٢٧٤.

(٥) السخاوي: التبر، ج٢ ص١٣٠.

وزاد ووصل، ونقص وغير وبدل، فكثر عليه الكلام من أهل حلب[١]، فـتكلم هو بكلام أدى منه إلى الكفر، فرجمه أهل حلب، وسبوه، ونادوا بكفره، حتـى قيل: إن القاضي الحنبلي علاء الدين بن مفلح[٢] قد أفتى بكفره[٣]، وقيل أيضًا: إن نائب حلب كان مع القاضي ابن مفلح ممن شكا من شاهين الطوغـاني[٤]، فأرسل شاهين إلى السلطان يشكو ويتظلم منه، وأنه قد تعصـب عليـه مـع القاضي ابن مفلح[٥]، فأمر السلطان بحضور قضاة حلـب ليسـتخبرهم عـن الأمر، فثبت عندهم ما وقع من شاهين نائب قلعة حلب، ومع ذلك فلم يَردعـه السلطان، بل أمر بإحضار ابن مفلح الذي أفتى بكفره، وأمر بحبسه بقلعة حلب عند شاهين الطوغاني نائبها[٦]، كما أمر بعزل نائب حلب[٧]، وما هذا كلـه إلا لمكانة شاهين عند السلطان، وربما تلك المكانة هي التي جعلت السلطان يسند إليه نظر الأوقاف، ويطلق يده في الأمور، وأكثر من ذلك فإن السلطان قد قام بعزل شاهين عن نيابة قلعة حلب ليوليه نائبًا على قلعة دمشق برغم ما أثيـر

---

(١) العيني: عقد الجمان، تحقيق: القرموط ص٦٣٩.

(٢) علاء الدين بن مفلح: القاضي الحنبلي بالديار الشامية، من أعيان دمشق، كـان فقيهـا واعظًا بارعًا فى مذهبه. "ابن شاهين: نيل الأمل، ج١ ق٣ ص٥٩".

(٣) الصيرفي: نزهة النفوس، ج٤ ص٣٢٠.

(٤) العسقلاني: إنباء الغمر، ج٩ ص٢٣٥.

(٥) السخاوي: التبر المسبوك ج١ ص٢٥٥.

(٦) الصيرفي: نزهة النفوس ج٤ ص٣٢١.

(٧) العسقلاني: إنباء الغمر ج٩ س٢٣٥.

حوله من كلام في حلب، وقد ظل شاهين نائبًا لقلعة دمشق حتى وفاتـــه فـــي ٨٥٢هـ/١٤٤٨م[١].

وقد يتغير نائب القلعة بتغير السلطان، وقد يبق على وظيفته كما هو دون تأثر بتغير السلاطين، فقد كان نائب قلعة الجبل الأمير يونس العلائي الناصري في عهد السلطان جقمق، فلما مات جقمق فـــي ٨٥٧هـــ/١٤٥٤م، وتـــولى عوضه المنصور عثمان[٢] فإنه أبقى يونس العلائي على وظيفته فـــي نيابـــة القلعة[٣]، ثم لما انتزع الملك الأشرف إينال[٤] السلطنة من المنصور عثمان في نفس العام، قام بعزل يونس العلائي عن نيابة القلعة وولاه نيابة الاسكندرية[٥].

ويونس العلائي هذا أصله من مماليك الناصر برقوق، ثم أعتقه الناصـــر فرج، وتولى نيابة قلعة الجبل بعد تغري برمش الفقيه، وفى هذا يقـــول ابـــن تغري بردي: "وبئس البديل، وهذا من عدم الإنصاف، كيف يكون هذا المهمل

(١) ابن تغري بردي: النجـــوم ج١٥ ص٥٢٧، حـــوادث ج١ ص ٣٢/ ابـــن الحمصـــي: حوادث، ج١ ص٩١.

(٢) المنصور عثمان: أبو السعادات فخـــر الـــدين بـــن الملـــك الظـــاهر، تســـلطن فـــى ٨٥٧هـــ/١٤٥٣م وسنه دون العشرين، ثم خلعه الاشرف ينال فى نفس العام. "ابن تغـــري بردي: مورد اللطافة، م٢ ص١٦٤".

(٣) ابن تغري بردي: النجوم ج١٦ ص٣٩/ المنهل، ج١٢ ص٢٧٠.

(٤) الأشرف إينال: سيف الدين أبو النصر العلائي الظاهري، اشـــتراه الظـــاهر برقـــوق، وأعتقه الناصر فرج، وتسلطن فى ٨٥٧هـــ/١٤٥٣م، حتى ٨٦٥هـــ/١٤٦١م. "ابن تغـــري بردي: مورد اللطافة، ص١٦٨".

(٥) البقاعي، إبراهيم بن عمر: إظهار العصر لأسرار أهل العصر. تاريخ البقاعي. تحقيق: محمد سالم شديد العوفي، ط١، الرياض، ١٤١٤هـــ/١٩٩٣م، ج١، ص٣٣٩.

العاري من كل علم وفن موضع ذلك العالم الفاضل الذكر العارف بغالب فنون الفروسية مع ما حواه من العلـوم". وكانـت وفـاة يـونس العلائـي فـي ٨٦٤هـ/١٤٦٠م[(١)].

وقد يتعدى نائب القلعة حدوده، ويتمرد على السلطان، ويطمع في الأموال، فيؤتى به وتؤخذ قلعته، وذلك كما حدث في ٨٥٧هـ/١٤٥٤م حينما أخذ نائب حلب قانباي الحمزاوي[(٢)] قلعة دروكي من نائبها ابن شهري[(٣)] الـذي هـرب منها بعد أن داخله الطمع أيام نيابته واستولى على مال السلطان الأشرف إينال ثم عصى، فقاتله أهل دروكي حتى هرب منها، وتسلمها نائب حلب الذي أرسل إلى السلطان يبشره بأخذها من ابن شهري[(٤)].

وقد يتأخر أو يتباطأ نائب القلعة عن تنفيذ بعض أوامر السـلطان تجنبًـا لإلقاء اللائمة عليه وحده، ففى ٨٥٨هـ/١٤٥٤م أمر السلطان الأشرف إينـال نائب قلعة حلب بقتل القاضي الحنبلي بها؛ لأنه حكم بذندقة إنسان وقتله، فقال نائب القلعة: "إن اجتمع نائب البلد والقضاة واجتمع أمرهم على ذلـك فعلـت،

(١) النجوم، ج١٦ ص٢١٣ ص٢١٤.

(٢) قانباي الحمزاوي: من مماليك سودون الحمزاوي الظاهري، تولى حلب مـرتين، ثـم انتقل إلى نيابة دمشق للأشرف ينال، وتوفى بها فى ٨٦٢هـ/١٤٥٨م. "ابن تغري بـردي: الدليل الشافي ج٢ ص٥٢٩".

(٣) ابن شهري: تولى على قلعة دروكي فى عهد الظاهر برقوق، فلما كانت سلطنة الملـك المنصور حاجي وتولى يلبغا الناصري أتابك الديار المصرية، فقد خلع يلبغـا علـى ابـن شهري باستقراره على قلعة دوركي في ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م. "ابن تغري بردي: النجـوم ، ج١ ص٣٢٩".

(٤) ابن شاهين: نيل الأمل ج٢ ق٥ ص ٤٠٩/ ابن تغري بردي: حوادث ج٢ ص ١٩٩.

وإلا فلا سبيل إلى أني أفعله، ولو أتى على نفسي، وإن كنتم تريدون فيه شيئًا أسلمته إليكم"، ولم يجسر النائب على قتله، وأراد إيقاع أحد من القضاة في شئ من ذلك يجعله له حجة، لكن لم يظفر بذلك[1]. وربما كان خوف نائب القلعة من تنفيذ ما أمر به السلطان من قتل القاضي يكون مرجعه مكانة القاضي ومهابته، أو أنه في حكمه على الزنديق لم يكن مخطئًا حتى يستحق العقاب، وعلى هذا سيجر أمر قتله على نائب القلعة من السخط والغضب ما لا تُحمد عقباه.

وهناك من نواب القلاع من خانوا سلاطينهم أو أسلموهم إلى العزل، كما فعل خير بك القصروي نائب قلعة الجبل في ٨٦٥هـ/ ١٤٦١م عندما اجتمع الأمراء على عزل الملك المؤيد وتوليه الظاهر خشقدم[2] بدلاً منه، وظل المؤيد يدافع عن ملكه حتى تخلى عنه أمراؤه ومنهم خير بك القصروى نائب القلعة الذي تركه، ونزل إلى خشقدم، وانضم إليه، وصار من حزبه، ليس هذا فقط، بل إن نزوله إلى خشقدم قد تسبب في أن تتبعت الناس فعله، إذ لما نزل علم الناس أنه قد ذهب أمر المؤيد، ولو كان فيه بقية ما نزل نائب القلعة منها، وانضم إلى خشقدم، فكان فعل نائب القلعة أضر على السلطان من أي أحد[3]. وزوال ملك المؤيد بانضمام نائب القلعة إلى عدوه المتغلب يوضح الدور الكبير

(١) البقاعي: إظهار العصر ج٢ ص٥٢.

(٢) خشقدم: ولى السلطنة ٨٦٥هـ/١٤٦١م، وأصله رومي الجنس، اشتراه الملك المؤيد شيخ ثم أعتقه، وظل سلطاناً إلى ٨٧٢هـ/١٤٦٨م. "ابن تغري بردي: مورد اللطافة، م٢ ص١٧٢".

(٣) ابن تغري بردي: النجوم ج١٦ ص ٢٤٦/ حوادث ج ٣ ص ٤٣٤.

الذي يشغله صاحب وظيفة نيابة القلعة، وأهميته في حفظ البلاد والسلطنة، أما خير بك القصروي، فقد أقره خشقدم على نيابة قلعة الجبل، ثم نقله إلى نيابة غزة، ثم نيابة صفد[١]، وكانت وفاته في ٨٧٥هـ/١٤٧١م[٢].

وقد يصدر السلطان أوامره إلى نائب القلعة بالتصدى لعصيان نائب البلد، ففي ٨٦٦هـ/١٤٦٢م خرج الأمير جانم[٣] نائب الشام عن طاعة السلطان خشقدم، فلما علم السلطان بذلك أمر نائب القلعة الأمير سودون اليشبكي بأن يتصدى له، ويقبض عليه، فرمى عليه نائب القلعة النشاب[٤]، فهرب جانم، لكن لحقه أحد الجند وضربه فمات[٥]. وبذا قضى سودون على فتنة العصيان بسرعة إخباره السلطان، وسرعة اتخاذه الإجراءات حيال تلك الفتنة لإخمادها، والجدير بالذكر أن سودون قيدروه التركماني اليشبكي هذا قد توفى في نفس العام، إذ كانت وفاته في ٨٦٦هـ/١٤٦٢م[٦].

---

(١) ابن شاهين: الروض الباسم ج٢ ص ٩٤.

(٢) ابن شاهين : نيل الأمل ج٢ ق٦ ص ٤٣٣.

(٣) جانم: سيف الدين بن عبد الله الأشرفي، نائب الشام، كان رجلاً للقصر أقرب، فيه حدة مزاج وسرعة حركة، مع تدين ومحبة للفقهاء، قتل فى ٨٦٧هـ/١٤٦٣م "ابن تغري بردي: النجوم، ج١٦ ص٣١٨".

(٤) ابن تغري بردي: النجوم ج١٦ ص ٢٦٦/ ابن إياس: بدائع الزهور ج٢ ص٣٩٠.

(٥) ابن طولون الدمشقي، شمس الدين محمد بن على الصالحي: إعلام الورى بمن ولى نائبًا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى. تحقيق: عبد العظيم حامد خطاب، القاهرة، ١٩٧٣م، ص٦٠.

(٦) ابن تغري بردي: النجوم ج١٦ ص٢٦٧.

ولشدة تفاني نائب القلعة في واجبه فقد يدفع حياته ثمنًا لحفظها حال وجود خطر أو هجوم عليها، وذلك كما في ٨٦٨هـ/١٤٦٤م حينما تحايل جماعة من الأكراد على جكم نائب قلعة كركر وقتلوه مع جماعة من مماليكه وملكوا القلعة(١). وعدم استطاعة الأكراد الاستيلاء على القلعة إلا بالحيلة دليل على أن نائبها كان قائمًا على شدة تحصينها، فامتنعت على من أرادها بالقوة، فلما لم تفلح القوة لجأ إلى الحيلة.

ويحدث أنه في حال انشغال نائب البلد بأمر من الأمور، فإن نائب القلعة يقوم بالكتابة إلى السلطان، فيرسل إليه بالكتب والبشارات، وذلك مثلما فعل نائب قلعة حلب في ٨٧٣هـ/١٤٦٩م حينما أرسل كتابًا إلى السلطان الأشرف قايتباي(٢) يخبره بأن إينال الأشقر(٣) نائب حلب هزم شاة سوار(٤)، ففر هاربًا(٥).

---

(١) ابن شاهين: نيل الأمل ج٢ ق٦ ص ١٩٠/ ابن تغري بردي: حوادث ج٣ ص٤٦٦.

(٢) السلطان قايتباي: جركسي الجنس، اشتراه الأشرف برسباي ثم نقل إلى الظاهر جقمق فأعتقه، ولى السلطان قايتباي السلطنة فى ٨٧٢هـ/١٤٦٨م إلى ٩٠١هـ/١٤٩٦م. "ابن تغري بردي": مورد اللطافة، م٢، ص١٨٥".

(٣) إينال الأشقر: عمل أولا فى نيابة غزة ثم حماه، ثم انتقل إلى نيابة طرابلس بعد فقد نائبها قاني باي المؤيدي "ابن تغري بردي: النجوم ج١٦ ص٣٦٤".

(٤) شاة سوار: من أعظم بني دلغادر شهامة وعزة وهمة، كان شجاعًا بطلاً حازمًا عازمًا، ضربت باسمه السكة وخطب له بالإبلسيتن "ابن شاهين: نيل الأمل ج٢ ق٧ ص ٤٥".

(٥) ابن تغري بردي: حوادث ج٣ ص٧١٠/ الصيرفي: إنباء الهصر بأنباء العصر. تحقيق: حسن حبشي. القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٠م، ص٧٠.

وقد يحضر نائب القلعة بنفسه إلى السلطان بالديار المصرية ليعلمه بأمر من الأمور أو يطلب منه المشاورة أو يبلغه رسالة، ففي ٨٧٦هـ/١٤٧٢م حضر ناصر الدين محمد نائب قلعة بهسنا[١] الى السلطان الأشرف قايتباي يعلمه بأن شاه سوار تفرق منه عساكره، وأنه يطلب من السلطان الصفح عنه، ويكون نائبه في قلعة درندة[٢]، لكن السلطان لم يجبه إلى ذلك[٣].

وقد يتراجع السلطان عن قرار أصدره بتولى أحد رجاله نيابة القلعة، ففي ٨٧٨هـ/١٤٧٤م خلع السلطان الأشرف قايتباي على قانصوة خمسمائة[٤] بنيابة قلعة حلب، ثم أبطل ذلك، وكان هذا الفعل لأمر من الأمور[٥]. ولكن هذا الأمر لم تذكره المصادر، ولم تتحدث عنه بأكثر مما ذُكر، مما يدل على ندرة الاهتمام بتدوين ما يتعلق بنواب القلاع.

---

(١) قلعة بهسنا: قلعة حصينة مهيبة بقرب مرعش وسميساط، وهي من أعمال حلب. "ياقوت الحموي: معجم البلدان ج١ ص ٥١٦".

(٢) قلعة درندة: تقع عند جبل مزعار الحاجز بين بلاد الغز وبلاد الباشغرد، وهي مدينة صغيرة فيها أسواق وصناعات، وقلعتها فى نهاية المنعة والتحصين. "الادريسي، محمد بن عبد الله: نزهة المشتاق فى اختراق الأفاق، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ج٢، ص٨٣٩، ص٨٤٠".

(٣) الصيرفي: إنباء الهصر ص١٤٤/ ابن إياس: بدائع الزهور ج٣ ص٦٩.

(٤) قانصوه خمسمائة: الأشرفي قايتباي، ترقى الى أن صار دوادارًا ثانيًا، ثم أمير أخور، وصهر السلطان جقمق في ابنته. "السخاوي: الضوء اللامع، ج٦ ص ١٩٩".

(٥) ابن شاهين: نيل الأمل ج٢ ق٧ ص ٨٣. ولا يوجد ذكر لهذا الخبر إلا عند ابن شاهين. "نيل الأمل ج٢ ق٧ حاشية ص٨٣".

ومثله أيضًا الأمير وردبش الذي أسندت إليه نيابة قلعة الروم ولم يباشرها[١]، ولم تذكر المصادر سببًا لذلك، على الرغم من إن وردبش هذا يوصف بالشجاعة والبطولة، وكان أصله من مماليك الظاهر جقمق، وقد تولى عدة وظائف منها نيابة آلبيرة ثم أتابكية حلب، ثم ولى نيابة حلب، وقتل أثناء حربه لأحد الخارجين على السلطان في ٨٨٩هـ/١٤٨٤م[٢].

وقد يضع السلطان ثقته في أبناء نواب القلاع كما كان يثق في أباءهم من قبل، فيولي أحدهم في وظيفة نائب القلعة خلفًا لأبيه، وإذا لم يُثبت المتولي الجديد أنه أهل لتلك الثقة، فلا غضاضة عند السلطان من عزله، فقد كان علي بن شاهين متوليًا نيابة القلعة، وكان لا بأس به، فلما توفى في ٨٩١هـ/١٤٨٦م[٣] ولى السلطان قايتباي على نيابة القلعة محمد بن علي بن شاهين عوضًا عن أبيه، ثم لم يلبث أن صرفه عنها[٤]، وقيل: إنه أمر بشنقه حينما فر ابن دلغادر من قلعة دمشق، وكان محبوسًا بها، الأمر الذي أزعج السلطان قايتباي، فأمر بشنق نائب القلعة، إلا إنه عاد واكتفى بصرفه عن نيابة القلعة دون شنقه[٥]، وفرض عليه أن يدفع ثلاثة آلاف دينار، لكونه فرط في التحفظ على أخي شاة سوار، كما قيل: إن السلطان أمر بحبس محمد بن علي

---

(١) السخاوي: وجيز الكلام، ج٣ ص ٩٥٦.

(٢) ابن شاهين: نيل الأمل ج٢ ق٧ ص ٣٣٨./ السخاوي: وجيز الكلام، ج٣، ص٩٥٦.

(٣) ابن شاهين: نيل الأمل، ج١ ق٨ ص١٠٠.

(٤) ابن شاهين: نيل الأمل ج٢ ق٨ ص١٠٠/ ابن طولون الدمشقي: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان. تاريخ مصر والشام، تحقيق: محمد مصطفى، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م، ج١ ص ٧٢.

(٥) ابن شاهين: نيل الأمل، ج٢ ق٨ ص٨٢.

بن شاهين، فتملك الخوف منه، حتى إنه لما عمل نائب دمشق فرسًا من خشب، أشاع الناس بأنه ورد مرسوم من السلطان على النائب بسلخ محمد بن شاهين، فلما بلغ ذلك محمد أيقن بالهلاك، وودع حريمه وأولاده، فلما علم نائب الشام بذلك أمر بتطييب قلبه[(١)]، فكاد محمد بن علي بن شاهين يخسر حياته نتيجة تقصيره في عمله في التحرز والتحفظ على المحبوسين بالقلعة.

وقد يصدر السلطان أمره الى أحد مماليكه بمباشرة وظيفة نيابة القلعة دونما تقليد رسمي لها، وذلك كما في ٨٩٤هـ/١٤٨٩م حينما أُمر طقطباى وهو من جلبان السلطان وخاصكيته بالتحدث في نيابة القلعة حتى يرى السلطان قايتباي رأيه في ذلك، فتولاها طقطباي متحدثًا فيها[(٢)]، من غير أن يخلع عليه بتقليد رسمي لها.

وقد يفوض السلطان نائب البلد أن يعين هو من جهته نائب على قلعتها، ففي ٨٩٤هـ/١٤٨٩م كان نائب دمشق من قبل السلطان قايتباي قانصوه اليحياوي[(٣)]، ففوض السلطان أمر قلعة دمشق إليه، فتسلمها قانصوه ووضع فيها نائبًا من جهته[(٤)]، وكان المتبع أن يكون نائب القلعة من قبل السلطان، فأُسند إلى نائب السلطنة بناء على تفويض من السلطان إليه.

---

(١) ابن طولون الدمشقي: مفاكهة الخلان، ج١ ص٨٣ ص١٠٤.

(٢) ابن شاهين: نيل الأمل ج٢ ق٨ ص١٤٧/ ابن إياس: بدائع الزهور ج٣ ص٢٦٤.

(٣) قانصوه اليحياوي الظاهري، أحد أمراء العشرات، ورأس نوبة في سنة ٨٧٢هـ/١٤٦٧م. "ابن تغري بردي: حوادث الدهور ج٣ ص ٤٥٨".

(٤) ابن طولون الدمشقي: إعلام الورى، ص٧٦.

وقد تتصاعد الخلافات بين نائب البلد ونائب القلعة إلى الحد الذي يجعل أحدهما يفقد حياته، ففي ٩٠١هـ/١٤٩٦م، قتل كرتباي[١] نائب صفد أحمد بن بهادر نائب قلعة صفد بعد أن احتال عليه، فقد كان كرتباي عاصيًا على السلطان قايتباي، فتصدى له أحمد بن بهادر وضيق عليه، ولكي يدفع كرتباي نائب القلعة عنه قام بحيلة انطلت عليه، حيث أعلن أنه طائع غير عاصٍ للسلطان، فصدقه أحمد بن بهادر نائب القلعة، فلما اجتمع به قام كرتباي بقتله[٢].

وقد يجمع نائب القلعة بين نيابتها ونقابتها[٣]، ففي ٩٠٢هـ/١٤٩٧م ولي السلطان الناصر محمد بن قايتباي[٤] على نيابة قلعة دمشق ونقابتها أزدمر المشد[٥]، فجمع بين الوظيفتين[٦].

---

(١) كرتباي الأحمر: كافل البلاد الشامية فى ٩٠٣هـ/١٤٩٨م، قمع أهل الفساد بدمشق، وأبطل المنكرات من الخمور ومكس اللحم، فتحصل بوصوله إلى دمشق الخير لأهلها، توفى فى ٩٠٤هـ/١٤٩٩م. "البصروي، على بن يوسف بن أحمد : تاريخ البصروي. تحقيق: أكرم حسن العلبي، ط١، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤٠٨هـ، ج١ ص٢٣٣".

(٢) ابن طولون الدمشقي: مفاكهة الخلان ج١ ص ١٦٨/ ابن إياس: بدائع الزهور ج٣ ص٣٣٥.

(٣) نقابة القلعة: من الوظائف التي يشغلها عسكريون بالقلاع، وكانت تلي وظيفة نائب القلعة، وكان يحلف يميناً مثل يمين نائب القلعة. "زين العابدين: معجم الألفاظ، ص٥٢٩".

(٤) الناصر محمد بن السلطان قايتباي: تولى السلطنة في ٩٠١هـ/١٤٩٦م، كان يغلب عليه الجنون والسفه واللهو واللعب، فسقط من أعين الناس والعسكر، فسطوا عليه وقتلوه فى ٩٠٤هـ/١٤٩٩م وكانت مدة سلطنته ثلاث سنين. "العاصمي: سمط النجوم ج٤ ص٥٩ ص٦٠".

(٥) أزدمر المشد: معتق الأتابك أزبك، عمل شادًا له، ثم أنعم عليه الأشرف قايتباي بنيابة طرسوس، ثم ولاه سيس، ثم حماه، فباشرها بعسف وقلة دربه، ويقال: إن أستاذه لام السلطان على جعله نائبًا، لعلمه بعدم تأهله لشيء. "السخاوي: الضوء اللامع، ج٢ ص٢٧٤".

(٦) ابن طولون الدمشقي : مفاكهة الخلان ج١ ص ١٦٩.

كما جمع قيت عم السلطان الناصر محمد بن قايتباي بين وظيفتي الزردكاشية[١] ونيابة قلعة الجبل في ٩٠٢هـ/١٤٩٧م، ولكنه لم يبق فيها طويلاً، إذ عزل عنها وعن الزردكاشية في ٩٠٣هـ/١٤٩٨م، لأنه نسب إليه الميل إلى أقبردي الدودار[٢] الذي عصى على السلطان الناصر[٣]، ولم يمنع السلطان ما بينهما من قرابة من عزله، تلك القرابة ذاتها التي لم تمنع قيت من الانضمام إلى أعداء السلطان.

كذلك عزل قنبك أبي شامة عن نيابة القلعة للسبب ذاته، وهو ممالآة أقبردي الدودار العاصي على السلطان الظاهر قانصوه[٤]، إذ يذكر أنه في ٩٠٣هـ/١٤٩٨م وأثناء عصيان أقبردي الدودار فإن قنبك نائب القلعة أعمل الحيلة على السلطان، حيث دخل إليه ذات يوم وأخبره أن الأمير قانصوه خمسمائة الذي كان قد اختفى وأُشيع مقتله قد ظهر، وأنه يأت ليملك القلعة، ثم تبين كذب هذا الأمر، وأن تلك حيلة مفتعلة من نائب القلعة على السلطان

---

(١) الزردكاش: المسئول عن صنع السلاح وصيانته. "دهمان: معجم الألفاظ، ص٨٦".

(٢) أقبردي الدودار الأشرفي قايتباي، كان خاصكيًا، ثم ترقى لإمرة عشرة، ثم استقر في الدوادرية الكبرى، فصار إليه الحل والربط، حتى عصى على السلطان الظاهر قانصوه. "السخاوي: الضوء اللامع، ج٢ ص ٣١٥".

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور ج٣ ص ٣٧٨.

(٤) الظاهر قانصوه: كان ملكًا هينًا لين الجانب، قليل الأذى، كثير البر والمعروف، لكنه كان مسلوب الاختيار مع الأمراء، خُلع ٩٠٥هـ/١٤٩٩م."ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص٤٣٦، ص ٤٣٧".

بالاتفاق مع مماليك اقبردي الدودار، فأمر السلطان بالقبض على نائب القلعة ومماليك أقبردي الدودار(١).

وقد يولى السلطان على نيابة القلعة حواطًا، مثلما فعل السلطان في ٩٠٣هـ/١٤٩٨م، حينما خرج من مصر عدد من الأمراء الذين عصوا مع أقبردي الدودار وتوجهوا إلى دمشق، فأُشيع بقدومهم إلى دمشق أنهم متواطئون مع نائبها ونائب قلعتها، فعزلهما السلطان الظاهر قانصوه، ثم أصدر السلطان أمره إلى أقباي الحواط المكلف بحصر أموال المصادرات والتركات أن يجلس في نيابة القلعة(٢)، وقد كان أقباي هذا من أكبر المتصدين لعصيان أقبردي الدودار، لكن لم يطل أمره في النيابة، إذ توفى في ٩٠٤هـ/١٤٩٩م، وقيل: إنه مات مسمومًا(٣)، ولم يذكر لذلك سببًا، ولو صح سمه، فربما يكون ذلك من جهة أقبردي الدودار.

وقد لا يمّكن نائب القلعة من ممارسة عمله، مثلما حدث في ٩٠٤هـ/١٤٩٩م حينما أرسل السلطان الظاهر قانصوه الأمير ازدمر الأشقر اليحياوي نائبًا على قلعة دمشق، فمنعه نائب الشام كرتباي الأحمر وقام برده، لأن مرسوم النيابة لم يكن قد أتى لكرتباي نفسه، فلذا لم يمكّن ازدمر من دخول القلعة، فخاف أزدمر وخرج من سكنه بالقلعة إلى خارجها، إلا أن

---

(١) ابن الحمصى: حوادث ج٢ ص٣٤.

(٢) ابن طولون الدمشقي: إعلام الورى، ص٨١.

(٣) ابن طولون الدمشقي: مفاكهة الخلان، ج١ ص٢١٩.

السلطان لم يوافق على فعل كرتباي، وتولى أزدمر نيابة القلعة[(١)]، إلا إنه أيضًا مُنع من تسلم القلعة، ومُنع من عمله بها في ٩٠٥هـ/١٥٠٠م، ولكن هذه المرة على يد نائب الشام قصروه[(٢)]، فأرسل أزدمر يشكو إلى السلطان، وأرسل كذلك النائب يشكوه إلى السلطان، فعزل السلطان أزدمر من نيابة القلعة، فقام قصروه بطرده منها وأحضر مملوكين من أمراءه وولاهما نيابة القلعة[(٣)]، فلما علم السلطان بذلك بعث الى قلعة دمشق نائبًا لها وهو الأمير دولت باي اليحياوي المعروف بخال الأسياد[(٤)]، وأمره بالقبض على قصروه وجماعته في ٩٠٦هـ/١٥٠١م[(٥)].

وقد يرسل السلطان نائب السلطنة من مصر إلى البلد المتولى على نيابتها، ومعه معاونوه كجنوده وحاشيته، وكذلك نائب القلعة، مثلما حدث في ٩٠٦هـ/

(١)ابن الحمصي: حوادث ج٢ ص٩١./ ابن طولون الدمشقي: مفاكهة الخلان، ج١ ص١٩٧.

(٢) قصروه: مقدم ألف، نزل بدار النيابة الشامية فى ربيع الآخر من عام ٩٠٤هـ/١٤٩٩م، واستحوذ على تركة الكافل كرتباي. "البصروي: تاريخ البصروي، ج١ ص٢٣٥ ص٢٣٦".

(٣) ابن طولون الدمشقي: إعلام الورى، ص ١٠٤.

(٤) دولت باي اليحياوي: عمل نائبا على آلبيره، ثم نائبًا لحلب، ثم انتقل إلى نيابة قلعة دمشق حتى ٩٠٨هـ/١٥٠٣م، وعزل عنها ليعين نائبًا على حماه. "ابن طولون الدمشقي: مفاكهة الخلان، ج١ ص ٢٢٣".

(٥) ابن طولون الدمشقي: مفاكهة الخلان، ج١ ص٢٣١.

١٥٠١م، حينما أرسل الغوري[١] إلى دمشق طومان بـاى[٢] نائبًا عليها، وصحبته نائب قلعتها، وخمسون مملوكًا سلطانية، وعدة مقدمين وخاصكية، وغيرهم من الأتباع[٣].

ولنائب القلعة أن يتخذ له من ينوب عنه من النواب، ففي ٩٠٧هـ/١٥٠٢م تولى الأمير طقطباى العلائي نيابة قلعة الجبل بمصر، فاتخذ جانبلاط[٤] نائبًا له[٥].

وعلى نائب القلعة العمل على إشاعة الأمن والهدوء، ومن ذلك إشاعته بطاعة نواب السلطان له، ففي ٩١٠هـ/١٥٠٥م أشاع نائب قلعة دمشق بأن نواب السلطان الغوري في دمشق وحلب وطرابلس على طاعة السلطان، قائمين على أعمالهم، وأمر بدق البشائر لذلك[٦]، وذلك بهدف أن يسود الأمان والاستقرار في البلاد وأهلها.

---

(١) قانصوه الغوري: تولى السلطنة فى ٩٠٦هـ/١٥٠٥م، قيل عنه، إنه كان كثير الدهاء، ذا رأي، إلا إنه كان بخيلاً شديد الطمع، كثير الظلم والعسف، توفى ٩٢٢هـ/١٥١٧م. "القرماني: أخبار الدول، م٢ ص٣٢٤".

(٢) طومان باي: كان جليلاً مهابًا مبجلاً، تولى الملك وقد جاوز الأربعين من العمر، ومع أنه كان وافر العقل سديد الرأي إلا إنه كان كما قيل عنه: سفاكًا للدماء مسرفًا ظالمًا. "ابن إياس: بدائع الزهور ج٣ ص٤٧٧".

(٣) ابن طولون الدمشقي: إعلام الورى، ص١٢٤.

(٤) جانبلاط: كان نائبًا على غزة، تولاها مدة يسيرة، ثم مات فى٩١٤هـ/١٥٠٩م. "ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص١٣٢".

(٥) ابن إياس: بدائع الزهور ج٤ ص١٣١.

(٦) ابن طولون الدمشقي: مفاكهة الخلان، ج١ ص٢٨٤.

وقد يُسند أمر تولي نيابة القلعة إلى أحد الخاصكية مؤقتًا حتى يتم الفصل فيمن يتولاها، ففي ٩١٢هـ/١٥٠٧م عُزل طومان باي عن نيابة القلعة بسبب خلافه مع نقيبها، فأرسل السلطان الغوري خاصكي للكشف عن خلافهما وإرسالهما إلى مصر حيث السلطان، كما أمر السلطان الخاصكي أن يستمر بالقلعة يحرسها عوضًا عنهما حتى يأتي إليه من يعتمده،[١] ففعل.

وعلى نائب القلعة التحري من صدق الأخبار التي تصله بشأن أي تمرد أو عصيان، كما أنه يتخذ من الإجراءات الاحترازية ما يكفل له حماية القلعة من الأخطار، ففي ٩١٨هـ/١٥١٣م بلغ الأمير سنطباى[٢] نائب قلعة دمشق بأن سيباي[٣] نائب الشام الذي كان مسافرًا قد عصى على السلطان الغوري، فأمر نائب القلعة على الفور بغلق أبوابها، وأغلقت الأسواق وأرسل خلف نائب الشام ليتأكد من عصيانه، فلما حضر ذكر أنه طائع للسلطان، فأحضر نائب القلعة القضاة عنده، وكتب بذلك محضرًا، وأرسل به إلى السلطان[٤].

(١) ابن طولون الدمشقي: إعلام الورى، ص٢٠٥/ مفاكهة الخلان، ج١ ص٣٠٩ ص٣١١.

(٢) سنطباي: عمل سنطباي وكيلاً للسلطان بدمشق، وكذلك عمل ناظرًا للمارستان، ثم نقيبًا للقلعة، حتى تولى نيابتها في٩١٧هـ/١٥١٢م، وظل بها حتى عزل عنها في٩١٩هـ/١٥١٤م. "ابن الحمصي: حوادث، ج٢، ص٢١٤ ص٢٤٦".

(٣) سيباي: من مماليك السلطان قايتباي، كان فارسًا مناعًا وبطلاً شجاعًا، عمر المدرسة التي بدمشق المعروفة بمدرسة سيباي ووقف عليها الأوقاف، مات ٩٢٢هـ/١٥١٧م. "ابن زنبل الرمال، الشيخ أحمد: آخره المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني. تحقيق: عبد المنعم عامر – الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٨٣".

(٤) ابن الحمصي: حوادث ج٣ ص٢٣٥.

وقد يلجأ نائب القلعة إلى اختلاق الشائعات في سبيل المحافظة على البلاد والقلعة من المخاطر، وخشية حدوث الفتن، ففي ٩٢٢هـ/١٥١٧م حينما تأكد مقتل السلطان الغوري في موقعة مرج دابق(١)، فقد همّ المماليك الجلبان في مصر للقيام بأعمال سلب ونهب، فأشاع طقطباى نائب القلعة أن الدودار أصبح هو متولى السلطنة عقب الغوري(٢)، وذلك حتى يسكن المماليك بعد علمهم بأن البلاد ليست خالية من سلطانها، فيتراجعون عن السلب والنهب.

وقد يتاح لنائب القلعة أن يلعب دورًا في تولية سلطان مصر، فعقب مقتل السلطان الغوري في ٩٢٢هـ/١٥١٧م، اجتمع الأمراء إلى طومان باي ليتولى السلطنة، فأبى، فذهب طقطباي نائب القلعة مع غيره من الأمراء إلى أحد الشيوخ المعروفين بالصلاح(٣)، وذكروا له امتناع طومان باي عن قبول السلطنة، وطلبوا منه أن يكلمه في أمر القبول، فاشترط عليهم إن هو فعل أن يدينوا لطومان باي بالسمع والطاعة، وأخذ منهم العهود على ذلك، وتمت سلطنة طومان باي(٤)، فكان أحد الساعين في ذلك نائب القلعة.

وقد يصبح نائب القلعة منبوذًا لأنه لم يبذل طاقته ولا وسعه في حماية القلعة، مما قد يودي به إلى الحبس، مثلما فعل قانصوه الأشرفي نائب قلعة

(١) مرج دابق: قرية قرب حلب عندها مرج، وبه قبر الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك. "ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢ ص٤١٦".

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٥، ص٨٢.

(٣) ويعرف بالشيخ أبو مسعود، ومسكنه فى كوم الجارح بمصر. "ابن إياس: بدائع الزهور، ج٥، ص٨٥".

(٤) ابن إياس: بدائع الزهور ج٥ ص٨٥ ص٨٦.

حلب في ٩٢٢هـ/١٥١٧م وذلك حينما انتصر السلطان سليم العثماني[١] على المماليك في مرج دابق، فإنه دخل إلى حلب وتملكها، وتسلم قلعتها من نائبها قانصوه الأشرفي الذي هرب منها وترك أبوابها مفتوحة[٢]، بعد أن سلمها بما فيها من أموال وسلاح وقماش وتحف وغير ذلك[٣]، فسلمها قانصوه بالأمان من غير قتال ولا محاصره، على الرغم من حصانتها ومناعتها[٤]، فحُبس جزاء فعلته.

وليس المقصود من حبس نائب قلعة حلب معاقبته لأنها وقعت في يد العثمانيين، فقد ملك العثمانيون البلاد بالفعل، ولكن معاقبته جاءت؛ لأنه لم يقم بواجبه نحو القلعة بالدفاع عنها والاستماتة في سبيل ذلك بصرف النظر عن النتيجة تسقط أم لا تسقط، ولكنه لم يفعل ذلك، فهو لم يفعل مثلما فعل نائب قلعة دمشق حينما وصل إليها العثمانيون، وتسلموا البلد كلها ما عدا القلعة، لأن نائبها علباي[٥] امتنع عن تسليمها[٦]، فلما تصدى له العثمانيون وهزموه نزل

---

(١) سليم العثماني: سليم بن بايزيد بن محمد بن مراد، سلطان الروم، ولد ٨٧٢هـ/١٤٦٨م، ذُكر بأنه كان سلطاناً عظيمًا شديد البطش، سفكاً للدماء، انتزع مصر والشام من يد السلطان قانصوه الغوري، مات ٩٢٦هـ/١٥٢٠م. "الشوكاني، محمد بن علي: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. دار المعرفة، بيروت، د. ت، ج١، ص٢٦٥، ص ٢٦٦".

(٢) ابن الحمصي: حوادث، ج٣، ص٢٨٨./ ابن إياس: بدائع الزهور، ج٥، ص٧٤

(٣) ابن طولون الدمشقي: مفاكهة الخلان، ج٢، ص٢٥.

(٤) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٥، ص٨٥ ص١٣٠.

(٥) علباي: قيل عنه: كان عنده طيش وكثرة كلام، لكنه كان قليل الطمع، متعصبًا لمن يلوذ به، مات مقتولاً فى ٩٢٤هـ/١٥١٥م. "السخاوي: الضوء اللامع، ج٥ ص١٥١".

(٦) ابن طولون الدمشقي: مفاكهة الخلان ج٢ ص٢٨.

إلى السلطان سليم، وسلم إليه القلعة مجبرًا بعد الهزيمة، وسلم مفاتيحها[1]، فها هو لم يمنع وقوع البلاد في أيدي العثمانيين، ولكنه قام بواجبه في محاولة للدفاع عن القلعة، وما حدث بعد ذلك كان أمرًا خارجًا عنه، إذ لم يتبق للمنهزم إلا أن يخضع لأوامر المنتصر.

من هذا العرض يتضح أهمية الدور السياسي والعسكري الذي يقوم به نائب القلعة، وهو يظهر ما لنائب القلعة من دور كبير في حفظها، وحفظ البلاد من الأخطار التي تتهددها، سواء تشارك معه أعوانه وأهل البلاد في حفظها، أم قام هو بذلك وحده، واقفًا في وجه تلك الأخطار متصديًا لها.

الدور الاجتماعي لنائب القلعة:

أما عن الدور الاجتماعي المنوط به نائب القلعة فتتعدد جوانبه ومناحيه ما بين القيام على عمارة القلعة، وحفظ الأمن والأمان للرعية وما يستتبع هذا من رخاء اقتصادي، ومنه أيضًا العمل على تأليف القلوب، والفصل بين المتنازعين، إلى غير ذلك مما قد يضاف إليه من أعمال.

(العمارة):

وطبقًا لمرسوم التولية الذي يصدر عن السلطان لنائب القلعة، فقد ثبت به إسناد أمر عمارة القلعة إلى نائبها، وقد قام نواب القلاع على هذا الأمر خير قيام ومن هؤلاء:

سيف الدين طوغان الذي تولى نيابة قلعة صفد، فلما جاء إليها عمرها ورممها ولم شعثها، وكان يقيم في عمارة القلعة من طلوع الشمس إلى مغيبها، وكان آية في الجود والكرم، وكان ينفق في الصناع من ماله، ومع ذلك فقد

(١) ابن الحمصي: حوادث، ج٣ ص ٢٨٩.

ذُكر عنه: أن في أخلاقه حدة وشراسة، ويعطي الصانع الدراهم من عنده وهو يضربه بالعصا التي في يده، وقلما ضرب أحدًا إلا أجرى دمه من شدة العصا، لذا وصف بأنه كان "ظالمًا عسوفًا عديم الرحمة عبوسًا لا يبتسم"، توفى ٧٢٤هـ/١٣٢٣م[١].

وقد يسند السلطان أمر عمارة القلعة إلى نائبه على البلاد، كما أنه قد يعطي للنائب الحق في اختيار النائب على القلعة، فقد أمر السلطان الناصر محمد في ٧٣٦هـ/١٣٣٥م نائبه على الشام الأمير تنكز[٢] أن يتوجه إلى قلعة جعبر لعمارتها، فامتثل لأوامر السلطان وعمرها وجعل عليها الحرس، وعين لها نائبًا، وكتب بذلك محضرًا وأرسله إلى السلطان[٣].

وإذا أَلَمَّ بالقلعة أمر عارض فعلى نائب القلعة أن يباشره بنفسه حتى يزول العارض بأخطاره، ففي ٧٦٥هـ/١٣٦٣م احترقت الباشورة التي ظاهر باب الفرج[٤]، ونال حجارة الباب شئ من حريقها فاتسعت دائرة النار، فتم التصدى

(١) الصفدي: أعيان العصر، م٢، ص ٦٢٣ ص٦٢٤.

(٢) الأمير تنكز: سيف الدين تنكز، نائب دمشق، توجه إلى قلعة جعر لعمارتها، فاستقرت أمورها برواحه إليها، ولما فرغ من ترتيب ما تحتاج اليه عاد إلى دمشق مرة أخرى، وكان محبوبًا من أهلها، إذا استقبلوه عند رجوعه، وقدموا له الشموع فرحًا بقدومه. "ابن الجزري: حوادث، ج٣ ص٨٥٤، ص٨٥٥".

(٣) ابن حبيب: تذكرة النبيه ج٢ ص ٢٦٥/ ابن الجزري : حوادث ج٣ ص ٨٥٤/ ابن إياس: بدائع الزهور، ج١ ق١ ص٤٧٢ ص٤٧٣.

(٤) الباشورة: بناها نور الدين الشهيد بظاهر باب الفرج وهو أحد أبواب قلعة دمشق. "عبد القادر بدران: منادمة الأطلال، ج١ ص٤٠".

لهذا الحريق بإخماده، وقد حضر نائب القلعة إطفاء الحريق حتى اطمئن لزوال الخطر[١].

ومن نواب القلاع ممن كان محبًا للعمارة والإصلاح والتجديد للقلاع كان الأمير شهاب الدين ابن الحمصي نائب قلعة دمشق، ففي ٧٨٧هـ/١٣٨٥م نقضت وتهدمت القبة الزرقاء بالقلعة، فشرع ابن الحمصي في عمارتها، وكبرها عما كانت عليه، وأصلح أبراج القلعة، وبيضها من الخارج والداخل، وبالجملة فقد كان ابن الحمصي معروفًا بالاجتهاد والإصلاح والتجديد والترميم، وكانت وفاة في ٧٩١هـ/١٣٨٨م[٢].

كذلك كان الأمير بجاس الذي تولى نيابة قلعة دمشق في ٧٩٣هـ/١٣٩٠م كان له حظ من عماراتها، فقد قام بجاس فور توليه نيابتها بعمارة أكثر مواضعها، كما أنه بيضها، وعمل على فرشها[٣].

وممن عمر قلعة دمشق أيضًا نائبها الشهاب أحمد اليغموري[٤]، إذ لما تولى نيابة القلعة في ٨٠٣هـ/١٤٠٠م التزم بعمارتها، وأفرد لها من بلاد دمشق ما ينفق من أموال هذه البلاد على قلعتها، وكذلك ينفق عليها من أموال

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص٥٦٠.

(٢) ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة، ج٣ ص ١٥٨ ص٣٠٤/ المقريزي: السلوك، ج٣ ق٢ ص٥٨٨.

(٣) ابن صصري: الدرة المضيئة ص٩٤.

(٤) أحمد اليغموري: شهاب الدين أحمد اليغموري، ولي نظر الحرمين ونيابة السلطنة بالقدس الشريف في دولة الملك الظاهر برقوق فى٧٩٦هـ/١٣٩٣م، وأبطل الكوس والمظالم، وعمر الحرم الشريف. "الحنبلي، مجير الدين العليمي: الأنس الجليل، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد، مكتبة دنديس، عمان، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ج٢ ص٢٧٣".

المواريث، ونصف المتحصل من كنيسة قمامة[١] من القدس، وربـــع العشـــر، وربع الزكاة[٢]. فهذه كانت مصادره للإنفاق على القلعة وعلى عمارتها، ومن تعدد مصادر الإنفاق يظهر مدى الاهتمام بأمر القلاع وعمارتها، والبذل فـــي سبيل ذلك من جميع الجهات، وذلك لأن حفظ القلعة والقيام عليها هو الطريق لحفظ البلاد.

وفى ٨٢٠هـــ/١٤١٧م حينما تولى على قلعة دمشق نائبًـــا لهـــا الأميـــر شاهين أرغون شاوي[٣] فقد أكمل عمارة البرجين المحيطين بالقلعة وشـــيدهما وحصنهما، فصارا كقلعتين استخرجتا من القلعة الكبرى، وعظم شأن القلعـــة بهما[٤].

أما جانبك الظاهري الذي تولى نيابة قلعة دمشق في ٨٧١هـــ/١٤٦٧م فقد عمل هو الآخر على عمارتها، فعمر بابي القلعة القبلي والشمالي، والبرج الذي على بابها، إلا إنه لم يستمر طويلاً في نيابة القلعة، فقـــد عـــزل عنهـــا فـــي

(١) كنيسة القمامة: أعظم كنيسة للنصارى بالبيت المقدس، وهي فى وسط البلد، يحيط بهـــا سور، ولهم فيها مقبرة تسمى القيامة، لاعتقادهم أن المسيح قامت قيامتـــه فيهـــا. "يـــاقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤ ص٣٩٦".

(٢) المقريزي: السلوك ج٣ ق٣ ص ١٠٦٥ ص ١٠٦٦.

(٣) شاهين أرغون شاوي: أصله من التركمان، كان فى وظيفة الحاجب الثاني، ثم ولى في ٨٢٠هـــ/١٤١٧م على قلعة دمشق نائبًا لها، فأحسن السيرة فى أهلها. "المقريزي: السلوك، ج٤ ق١ ص٤٢٥/ ابن تغري بردي: النجوم ج١٤ ص٦٣".

(٤)العسقلاني: إنباء الغمر ج٧ ص٢٥٧.

٨٧٣هـ/١٤٦٩م، فقد أثر عنه أنه ظلم الناس، فقُبض عليه وصودرت أملاكه، فلما أطلق من محبسه أقام بدمشق بطالاً[١].

وقد يكلف السلطان نائب القلعة بأن يباشر عمارة ما هو خارج عن القلعة، ففي ٨٨٥هـ/١٤٨١م أسند السلطان قايتباي إلى أيدكي الذي تولى نيابة قلعة دمشق في ٨٩٤هـ/١٤٨٩م أن يتولى الأشراف على عمارة الجامع الأموي بدمشق، ففعل أيدكي وباشر عمارته التي اكتملت في ٨٨٦ه/١٤٨٢م وحضر نائب القلعة افتتاحه بعد تجديد عمارته[٢].

وكان لطومان باي نصيب من عمارة قلعة دمشق، ففي ٩١٣هـ/١٥٠٨م أثناء نيابته على القلعة رأى أن ناحية البرج الشمالي الشرقي من القلعة قد قربت على السقوط، فجمع طومان باى المعمارية لإصلاحها وعمارتها[٣].

إمارة الحاج:

وكثيراً ما كان لنائب القلعة دورٌ في شعيرة الحج المقدسة، فهو إما أن يخرج فرحًا مستبشرًا مودعًا موكب الحج، ويستقبل مهنئًا الموكب فرحًا بعودته، وإما أن يكون أميرًا على ركب الحاج.

ففى ٧٩٩هـ/١٣٩٦م أدار نائب القلعة المحمل بدلاً من نائب البلاد الذي كان غائبًا[٤].

---

(١)ابن شاهين: الروض الباسم، ج٣ ص٣٧٧/ ابن الحمصي: حوادث ج١ ص١٨٦.

(٢) ابن طولون الدمشقي: مفاكهة الخلان ج١ ص ١٣ ص ١٤.

(٣) ابن طولون الدمشقي: مفاكهة الخلان ج١ ص ٣١٨.

(٤) ابن صصري: الدرة المضيئة ص٢٢٤.

وممن تولى إمارة الحاج من نواب القلاع كان الأمير أسندمر[١]، فقد جعله السلطان برسباي أميرًا على ركب المحمل في موسم الحج عن عام ٨٢٥هـ/١٤٢٢م[٢].

وقد يأمر نائب القلعة بزينتها ودق البشائر فرحًا بقدوم السلطان من الحج، مثلما فعل أيدكي نائب القلعة في ٨٨٥هـ/١٤٨١م عقب علمه بوصول السلطان برسباي إلى عقبة أيلة[٣] في طريقه متوجهًا إلى القاهرة مع ركب الحاج[٤].

وقد يسند إلى نائب القلعة إمارة الحاج أكثر من مرة، فقد أسند إلى علي بن شاهين نائب القلعة إمارة الحاج الشامي في ٨٨٩هـ/١٤٨٥م، وكذلك في العام الذي يليه، ولولا وفاته في ٨٩١هـ/١٤٨٦م لكان أميرًا للركب الشامي في موكب الحج، غير أن المنية عاجلته في هذا العام، وقد كان عُين لذلك[٥].

---

(١) اسندمر: اسندمر النوروزي الظاهري برقوق، تأمر عشرة فى أيام الناصر فرج، ثم طبلخاناة فى أيام المؤيد، وولى نيابة الإسكندرية أيام الاشرف، ذُكر عنه: إنه كان مسرفًا على نفسه لكن فيه سلامة الباطن."السخاوي: الضوء اللامع ج٢ ص٣١٢".

(٢) الصيرفي: نزهة النفوس ج٣ ص١٤.

(٣) عقبة أيلة: أيلة الفتح مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل: هي أخر الحجاز وأول الشام، وهي مدينة صغيرة عامرة، بها زرع يسير. "ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١ ص٢٩٣".

(٤) ابن طولون الدمشقي: مفاكهة الخلان، ج١ ص٨.

(٥) السخاوي: وجيز الكلام ج٣ ص ٩٩١.

وفى عام ٩١٥هـ/١٥١٠م أخلع السلطان الغوري على الأمير طقطباى نائب القلعة بأن يكون أميرًا على ركب المحمل الخارج من الديار المصرية[١].

وقد تولى الأمير طقطباى هذا إمارة المحمل غير مرة، ففي ٩٢٠هـ/١٥١٥م خرج أميرًا على ركب المحمل، وكان خارجًا للحج هذا العام ولد السلطان قانصوه الغوري[٢]، وجعل السلطان ركاب ابنه بين ركاب كاتب السر، وبين ركاب طقطباي أمير ركب المحمل، فلما خرج طقطباي بركابه كان في غاية الحسن، وكان به نحو مائتي من الفرس والخيول، فلما قضى الركب النسك وعاد استقبله السلطان والأمراء والناس[٣].

مهام أخرى:

ومن تأليف القلوب أن نائب القلعة قد يحضر عَزَاءً ويتلاقاه في بعض الأحيان، خاصة إذا كان المتوفى له منزلة في قلوب العامة والخاصة على السواء، ففى ٧٢٨هـ/١٣٢٧م توفى الشيخ تقي الدين بن تيمية[٤]، وكان محبوسًا بقلعة دمشق، ثم مات بها، فقام نائب القلعة بتلقي العزاء فيه، وفتح باب القلعة وباب قاعتها لمن يدخل من الخواص والأصحاب[٥].

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور ج٤ ص ١٥٧ ص١٦٨.

(٢) ابن الحمصي: حوادث ج٣ ص ٢٦٤.

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور ج٤ ص ٤٠٩ ص٤١١.

(٤) ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية، ولد بحران ٦٦١هـ/١٢٦٣، وقدم مع والده إلى دمشق وهو صغير، فطلب الحديث، وكان ذكيًا كثير المحفوظ ،وصار إمامًا في التفسير، عارفًا بالفقه والنحو واللغة، وله تصانيف كثيرة، توفى ٧٢٨هـ/١٣٢٧م بدمشق. "ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص ٤٠٥ ص٤٠٦".

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية ج٩ ص ٤٠٥ ص٤٠٧.

ومن نواب القلاع من كان يحسن إنشاد الشعر، بل ومرتجلاً، ومن ذلك ما كان في ٧٩٦هـ/١٣٩٣م حينما أتى السلطان برقوق إلى حلب، وفرح به أهلها، وأوقدوا له الشموع، فلما نزل إلى قلعة حلب أحسن السلطان إلى نائبها، فأنشد له نائب القلعة بين يديه شعرًا قال فيه:

يا ملكًا قد فاق في السعد مجده ... فمحله فوق السُها والفرقد
أفنيت من عاداك في يوم الوغا ... والخيل تعثر في الوشيج الامد
ملك تفرد بالشجاعة والسخا ... فلذاك ما يُوليه غير منكدّ
الظاهر المنصور دام مُؤيدًا ... يفني العدي بمُثقَفٍ ومُهَنّدِ[1].

كذلك كان ممن يقرض الشعر الأمير تغري برمش الفقيه نائب قلعة الجبل، كما إنه كان جيد المذاكرة بالتاريخ والأدب وأيام الناس، وله معرفة بفنون الفروسية، ومن شعره:

خذ القرآن والآثار حقا ... وتوفيقًا وإجماعًا بيانا
دع التقليد بالنص الصريح ... ولا تسمع قياسًا أو فلانا[2]

ومعظم من تولى نيابة القلاع كان على حالة من الثراء، حتى إن كثيرًا منهم كان له تربة خاصة به، بالإضافة إلى ما كان يتم مصادرته من أموال بعد وفاتهم، ومنهم من كان يتخذ لنفسه المماليك، بل إن بعضهم يقوم بإرسال الهدايا إلى السلاطين.

---

(١) ابن صصري: الدرة المضيئة ص١٦٠.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم ج٥ ص٥٣١/ السخاوي: وجيز الكلام، ج٢ ص ٦٢٩.

ومن هؤلاء فارس نائب قلعة دمشق الذي كان يمتلـك مملوكًـا يسـمى شاهين[١] الطواشي[٢]، وكان جميلاً حسن الصوت، فأراده الملك الظاهر جقمق من فارس سيده، فكان أن أرسله له[٣].

وكذلك كان لبعض النواب عتقاء مثل بيسق اليشبكي[٤] نائب قلعة دمشق، فقد كان له عتقاء، كـ خشكلدي[٥] شاد الشراب خاناه سيفي،[٦] والذي كان من عتقاء بيسق[٧].

وقد يحضر نائب القلعة عند اعتلاء سلطان جديد عرش السلطنة ليُظهـر فرحه وسروره به، ففي ٨٥٧هـ/١٤٥٤م حضر إلى المنصور عثمان نائـب

---

(١) شاهين بن عبد الله الرومي الظاهري جقمق، وأصله من خدام الأمير فارس نائب قلعة دمشق، رأه أحد أمراء الظاهر جقمق فأُعجب بجماله وحسن صوته وقامته، فطلبـه الملـك الظاهر جقمق من فـارس وأخـذه، ثـم أعتقـه الظـاهر وأصـبح خازنًـا ثـم سـاقيًا، وتوفى٨٧٣هـ/١٤٦٩م."الصيرفي: إنباء الهصر، ص٨٦".

(٢) الطواشي: الطواشي هو الخصي، والخصي الذي ذهب أنثياه دون ذكره. "السبكي، معيد النعم، ص٣٩".

(٣) ابن تغري بردي: حوادث ج٣ ص ٧٢٢./ الصيرفي: إنباء الهصر ص٨٦.

(٤) بيسق اليشبكي الشعباني: جعله السلطان أمير خمسة، ثم عشرة، ثم نائب قلعة صفد، ثم نائب دمياط، ثم نائب قلعة دمشق، ومات بها في ٨٥٣هـ/١٤٥٠م. "السـخاوي: الضـوء اللامع، ص٢٣".

(٥) خشكلدي البيسقي: تأمر عشرة بالإضافة إلى الحسبة، ثم عمل شاد الشراب خاناه، ثـم رأس نوبة النوب. "السخاوي: الضوء اللامع، ج٣ ص ١٧٧".

(٦) شاد الشراب خاناه: المسئول عن بيت الشراب، وفيه شتى أنواع الأشربة التي يحتاجها السلطان، فضلاً عن الأواني النفيسة. "دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص٩٧".

(٧)ابن تغري بردي: حوادث، ج٣ ص ٥٥١.

قلعة حلب مع نائب حلب ليعلنا ابتهاجهما وسرورهما بتولية الملك المنصور سلطنة المماليك[1].

ونائب القلعة مسموع الكلمة، مطاع من أهل البلد التي بها، وله دور كبير في التصدى لما قد يلحق أهل البلد من الأذى أو الظلم أو الضرر، ففي ٨٨٠هـ/١٤٧٥م ثار الناس على برهان الدين النابلسي[2] وكيل السلطان قايتباي، ورجموه، ورموا عليه السهام، وأحرقوا داره، لأنه لما دخل دمشق صدرت منه القبائح بحق أهلها، إذ طغى وتجبر على الناس، واحتال لأخذ أموالهم، فثاروا عليه، وكان أن ركب نائب قلعة دمشق علي بن شاهين، وعمل على تهدئة العوام حتى سكنت الفتنة[3]، فكان فعله هذا من قبيل تطييب الخواطر وتأليف القلوب، وهذا من صميم عمله.

وقد يحضر نائب القلعة مع القضاة والمشايخ يوم رؤية الهلال، ويحتفى معهم بقراءة القرأن الكريم، مثلما حدث في ٨٨٥ هـ/١٤٨١م حيث اجتمع علي بن شاهين نائب قلعة دمشق في الجامع الأموي مع القضاة والفقهاء يوم رؤية الهلال، وقريء القرآن، وأُديرت الربعات عليهم، كلٌ يقرأ ربعه، وذكروا الله تعالى، وأهدوا ذلك للسلطان[4].

---

(١) السخاوي: التبر ج٤ ص٨٥.

(٢) برهان الدين النابلسي: برهان الدين بن ثابت النابلسي، عمل وكيلاً عن السلطان بدمشق، قيل: إنه أساء السيرة فى الناس، فوقع فى قلوبهم الخوف منه، قُبض عليه وعلى ابنه، وتوفى فى محبسه ٨٨٠هـ/١٤٧٦م. "ابن الحمصي: حوادث ج١ ص٢١٤ ص٢١٥".

(٣) ابن شاهين: نيل الأمل ج٢ ق٧ ص١٣٩/ ابن طولون الدمشقي، مفاكهة الخلان، ج١ ص٥.

(٤) ابن طولون الدمشقي: مفاكهة الخلان، ج١، ص٢٥.

وقد يجلس نائب القلعة مع القاضي لتحديد أوزان الفضة وأثمانهـا، كمـا حدث في ٨٨٥هـ/١٤٨١م حينما اجتمع علي بن شاهين نائب قلعة دمشق مع القاضي، وتم الاتفاق على أن وزن الفضة العتيقة والجديدة كل منهما اثنا عشر درهمًا ونصف، فذهب الهم والضيق عن الناس، وفتحت الحوانيت التي كانت قد أغلقت بسبب ذلك(١)، فقد كان تحديد أثمان الأوزان عائقًا حـال دون رواج حركة البيع والشراء بالأسواق، فساهم نائب القلعة بفعله هذا في زوال العائق، وفى التخفيف على الرعية والتجار.

وقد يتدخل نائب القلعة فيما لا يعنيه، فيتسبب في حدوث أزمة في البلاد، وقد تتوقف معها مصالح الناس، كما حدث في ٨٩٩هـ/١٤٩٣م حينما اختلفت جماعة من الفلاحين، فذهب بعضهم بالشكوى إلى يخشـباي(٢) نائـب قلعـة دمشق، والبعض الآخر ذهب بشكواه إلى قاضي القضاة الشافعي، فأرسل نائب القلعة لإمساك الذين ذهبوا لقاضي القضاة الشافعي ثم ضربهم، فلما علم قاضي القضاة الشافعي بذلك أوقف جميع ما يتعلق بأمور القضاء من صدور أحكام أو إشهاد، وقال: "لا أحد يحكم ولا يشهد حتى يقام الشرع على هذا الخبيث نائب القلعة"، فلما بلغ نائب القلعة ذلك خاف ولجأ إلى وساطة البعض الذين أتوا به إلى بيت قاضي القضاة وهو خائف ذليل، فقبل يده واعتذر، وقبّل الأمراء يـد

---

(١) ابن طولون الدمشقي: مفاكهة الخلان، ج١ ص٢٩، ص٣٠.

(٢) يخشباي: الكاشف، تولى نيابة قلعة دمشق فى ٨٩٩هـ/١٤٩٤م فى احتفـال مشـهود خرج فيه نائب الغيبة وحاجب الحجاب والقضاة، وقد عزل عن نيابة القلعة، ثم عاد إليهـا مرة أخرى في ٩٠٢هـ/١٤٩٧م، وعزل عنها أيضًا فى العام نفسه. "ابن الحمصي: حوادث ج١ ص ٣٤٧/ ابن طولون الدمشقي : مفاكهة الخلان ج١ ص ١٦٩".

قاضي القضاة وسألوه أن يصفح عنه، فقبل منهم، وقال لنائب القلعة: "قم إلى القضاة كلهم؛ وقبّل يدهم، واعتذر إليهم، ولا تعد لمثلها، أُجْرِ عليك الأحكام الشرعية"، ففعل، وذهب وقبل يدهم، "وصار أخفى من ليلة القدر"[1]، وذلك كناية عن أنه التزم حدود عمله بعد ذلك، ولم يقدم مرة أخرى على التعدي على ما اختص به غيره.

وقد يعهد نائب البلد إلى نائب القلعة بأن يصلح ما بينه وبين عواء الناس، ويتدخل لفض النزاع بينهما، وذلك مثلما حدث في ٩٠٧هـ/١٥٠٢م حينما خرج أهل دمشق على نائبها وتحالفوا عليه لكثرة ظلمه هو ومماليكه، فأرسل نائب البلد إليهم دولت باى نائب القلعة للعمل على تهدئتهم، فلم يلتفتوا إليه، فأرسله النائب إليهم مرة أخرى ومعه القضاة والحجاب، فاجتمعوا مع أكابرهم، وأجابوهم إلى ما سألوا من رفع الظلم والمشاهرة[2]، فرضوا بذلك[3].

وأحيانًا يتولى نائب القلعة الحكم والفصل بين المتخاصمين والمتنازعين، بل إنه يسعى إلى إنصاف أصحاب الحقوق حتى ولو كان الحق سيؤخذ من أحد مماليك القلعة، فقد حدث في ٩١٨هـ/١٥١٣م أن رجلاً ترابًا سائقًا صدم مملوكًا من مماليك نائب الشام، فضرب المملوك التراب ضربة في رأسه

---

(١) ابن الحمصي: حوادث ج١ ص٣٥٥ ص٣٥٦.

(٢) المشاهرة: هي الضرائب التي يفرضها المماليك على الرعية شهريًا. "قاسم عبده قاسم: الأسواق المصرية فى عصر سلاطين المماليك، ط١، مصر، عين للدراسات والبحوث، ١٤٣٤هـ/٢٠١٤م، ص٨٤".

(٣) ابن طولون الدمشقي: مفاكهة الخلان ج١ ص ٢٥١/ إعلام الورى، ص ١٥٢.

أدمته، فحضر إلى القلعة وشكى إلى نائبها سنطباي، فأمر بضرب المملــوك، ولم يبال بغضب سيباى نائب الشام منه(١).

ومن المهام الأخرى التي قد تسند إلى نائــب القلعــة أن يقــوم بتوزيــع الجامكية(٢) على العسكر في حال غياب السلطان، ففي ٩١٩هـ/١٥١٤م فرق طقطباى نائب قلعة الجبل الجامكية على عسكر السلطان الغوري بنــاءً علــى أوامر منه(٣)، وكذلك فعل طقطباى أيضًا في ٩٢٢هـ/١٥١٧م(٤).

ويبدو أن طقطباى هذا كان مقربًا من السلطان الغوري بدرجــة كبيــرة تجعل السلطان يكلفه بأمور خارج مهام وظيفته، فقد أرسله السلطان الغــوري في ٩١٩هـ/١٥١٤م إلى الخليفة المعزول المتمسك بالله يعقوب(٥) محملاً إيه بنفقة خمسمائة دينار ليدفعها طقطباى إلى الخليفة، ويطيب خــاطره، ويســأله الدعاء للسلطان، وسبب ذلك أن السلطان كان قد تعصب على الخليفة ورمــاه بالضعف، وخلعه من الخلافة بغير ذنب، فلما توجه إليه الأمير طقطباى قــال له: "السلطان يسلم عليك ويقول لك: ادعو له وابري ذمته ولا تؤاخذه بما وقع

---

(١) ابن الحمصي: حوادث ج٣ ص ٢٣٦.

(٢) الجامكية: هي الراتب المربوط لشهر أو أكثر. "سعيد عبد الفتــاح عاشــور: العصــر المماليكي فى مصر والشام، ط٢، دار النهضة العربية- القاهرة، ١٩٧٦م، ص٤٢٦".

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور ج٤ ص ٣٥٣ ص ٣٥٤.

(٤) ابن إياس: بدائع الزهور ج٥ ص٢٠.

(٥) المستمسك بالله يعقوب: عُهد إليه بالخلافة فى ٩٠٣هـ/١٤٩٨م، واستمر خليفة إلى أن كبرت سنه، وكف نظره، ودخلت أيام الدولة العثمانية، فأخذه الســلطان ســليم معــه إلــى اسطنبول، ثم عاد إلى مصر، فخلع في ٩١٥هـ/١٥٠٩م. "العاصمي: ســمط النجــوم ج٣ ص ٥٣٣".

منه في حقك"، فقال له: "أنا داعي للسلطان وخاطري طيب عليه"[١]. فإرسال السلطان الغوري طقطباى باعتذاره للخليفة إن دل على شئ فيدل على أن الخليفة كان لا يتحرج من طقطباى أن يبدي أمامه ندمه على خطأ ارتكبه، أو يرسله في محاولة لإصلاح ما فسد من أمور، وذلك لشدة قربه منه.

وقد يعهد السلطان إلى نائب القلعة بنظر الأوقاف، وذلك مثلما حدث في ٨٤٩هـ/١٤٤٦م مع شاهين الطوغاني نائب قلعة حلب والذي أسند إليه السلطان جقمق نظر الأوقاف التي بحلب.[٢]

كذلك قد يُسند إلى نائب القلعة مصادرة الأوقاف التي كانت قد أوقفت من قبل، ففي ٩١٠هـ/١٥٠٥م توفى الخاصكي الذي كان السلطان الغوري قد أرسله إلى دمشق لأجل مصادرة الأوقاف بها، فأسند السلطان إلى طومان باى نائب قلعة دمشق استخراج باقي الأوقاف ومصادرتها[٣].

وكان على نائب القلعة أن يعمل على إخماد الفتن، وتسكين الناس، وإشاعة الأمان والمناداة به، والوعيد بالنصرة إذا ما دعى الأمر إلى ذلك، ففي ٩١٠هـ/ ١٥٠٥م قام نائب الغيبة في دمشق بضرب رجلين من التجار دعوا لأهل الزعارة[٤]، فهاجت الناس، فنادى طومان باى نائب القلعة بالأمان، لكن تكرر اعتداء نائب الغيبة على بعض أهل البلد دون جريرة منهم أو ذنب،

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور ج٤ ص ٣٢٣ ص ٣٢٤.

(٢) العيني: عقد الجمان، تحقيق: القرموط ص٦٣٩.

(٣) ابن طولون الدمشقي: إعلام الورى، ص ١٧٥/ مفاكهة الخلان، ج١ ص٢٧٧.

(٤) الزعارة: بتشديد الراء تعنى شراسة الخلق، والزعرور لا فعل له، سيء الخلق. "ابن منظور : لسان العرب، ج١ ص١١٤".

وثارت العامة من الناس، فنادى نائب القلعة فيهم بالأمان، ووعدهم أنه سيُحدث السلطان في أمر نائب الغيبة(١).

ونائب القلعة بدوره يساهم في أن يسود حالة من الرخاء الاقتصادي وتوافر السلع، وهذا يترتب عليه سكون الفتن واستقرار الأوضاع، ومرجع هذا كله إلى استقرار الأوضاع السياسية في البلاد، وأن يشعر الرعية أن هناك من يشعر بآلامهم ومشاكلهم ويحاول رفع الظلم عنهم، وقد فعل هذا طومان باى نائب قلعة دمشق في ٩١٠هـ/١٥٠٥م حينما عصى سيباى نائب الشام على السلطان الغوري، فولى السلطان بدلاً منه خير بك، أما سيباى فقد تم القبض عليه، وسلم إلى نائب القلعة الذي أمر بالمناداة في الناس بالأمان، وأن من ظُلم أو قُهر فعليه بملك الأمراء خير بك(٢).

وجدير بالذكر أنه في العام التالي رضي السلطان الغوري عن سيباى لانتهاء عصيانه، فأمر نائب القلعة بالمناداة في الناس برضى السلطان عنه، وبالأمن والأمان، وأن لا يحمل أحد سلاحًا، فرخصت الأسعار وتوافرت السلع(٣).

ولنائب القلعة دور في رفع الغبن والظلم عن الناس والتجار، وذلك مثلما حدث في ٩١٣هـ/١٥٠٨م حينما أراد جماعة من أتباع نائب الشام أن

---

(١) ابن طولون الدمشقي: مفاكهة الخلان،ج١ ص ٢٨٠.

(٢) ابن طولون الدمشقي: إعلام الورى، ص١٨٤.

(٣) ابن طولون الدمشقي: مفاكهة الخلان، ج١ ص٢٩٨.

يطرحوا على الحارات شعيرًا للنائب زيادة على ما فرضوا على الحارات من المصادرات، فسعى طومان باى نائب القلعة في إبطال ذلك(١).

ونائب القلعة عمله ليس محصورًا في مقر القلعة، بل إنه يشارك الناس ما يمر بهم من أحداث، وهم يشاركونه فيها، فيذكر أنه في ٩١٣هـ/١٥٠٨م بلغ طومان باى نائب قلعة دمشق أنه بموضع من نهر بانياس(٢) رُئى تراب فيه بعض زئبق، إذا دُعك به النحاس صار ظاهره كالفضة البيضاء، فركب إليه مع الناس، فلما أُزيح التراب من مكانه لم يروا شيئًا، لكن أخذ كثير من الناس من التراب ودعكوا به خواتم من نحاس فصارت كالفضة(٣).

ولنائب القلعة أن يتحفظ على إرث من مات ولا وارث له، كما حدث في ٩١٦هـ/١٥١١م حينما أُشيع وفاة المُعلم محمد بن سليمان القابوني، فتجهز لأجل إرثه جماعة مسرباى(٤) نائب القلعة، وخرجوا إلى القابوني، إلا أنهم وجدوه حيًا لم يمت بعد(٥).

---

(١) ابن طولون الدمشقي: مفاكهة الخلان ج١ ص٣١٥.

(٢) نهر بانياس: مدينة بانياس ثغر بلاد المسلمين، وهي صغيرة، ولها قلعة، أما نهرها فهو يفضي إلى أحد أبواب المدينة، وله مصب. "ابن جبير، محمد بن أحمد الأندلسي: رحلة ابن جبير، دار الكتاب اللبناني – بيروت، د.ت، ج١ ص ٢٠٩ ص٢١٠.

(٣) ابن طولون الدمشقي: مفاكهة الخلان ج١ ص ٣٢١.

(٤) مسرباى: تولى نيابة قلعة دمشق فى ٩١٦هـ/١٥١١م، لكن لم تطل أيامه بها، إذ عزله السلطان الغوري فى العام نفسه، وطلب حضوره إلى الديار المصرية لكونه امتنع عن تنفيذ أمر السلطان بالذهاب إلى مكة، وتولى عوضه فى نيابة القلعة الأمير صنطباى. "ابن طولون الدمشقي: مفاكهة الخلان، ج١ ص ٣٣٩ ص٣٥٢".

(٥) ابن طولون الدمشقي: مفاكهة الخلان، ج١ ص ٣٤٤.

وعلى نائب القلعة حفظ أملاك السلطان، وأن يُطلعه على جميع ما يحدث بالقلعة، ولا يخفى عليه شئ من أمرها، ففي ٩١٦هـ/١٥١١م كتب مسرباى نائب قلعة دمشق محضرًا إلى السلطان الغوري بأن أحد المسجونين بالقلعة اتفق مع جماعة بالقلعة على سرقة قصدير السلطان المخزون بها، وأنه لما علم بذلك تصدى له، وأرسل نائب القلعة بهذا المحضر إلى السلطان بالقاهرة[(١)].

ويعمل نائب القلعة على الصلح بين المتخاصمين والتصدي للمشاحنات والنزاعات، وهذا من قبيل تأليف القلوب وتطييب الخواطر كما هو عليه في مرسوم التوليه، ففي ٩٢٢هـ/١٥١٧م أصلح على باى نائب قلعة دمشق بين أهل داريا[(٢)] وأهل صّحنايا[(٣)]، حتى أزال ما بينهما من خلاف[(٤)].

وقد يلجأ نائب القلعة إلى إشعار الناس بالخوف بهدف إخماد الفتن بدلاً من المناداة بالأمان، وله أن يتخذ من التدابير والحلول ما يدفع به الشر، ويخمد به الفتن، فقد حدث في ٩٢٢هـ/١٥١٧م أن هاجم الزعر بيوت بعض أهل دمشق، وأرادوا حرقها ونهبها بسبب خلاف وقع بين أهل المزّة[(٥)] وأهل داريا،

---

(١) ابن طولون الدمشقي: مفاكهة الخلان ج١ ص ٣٤٦.

(٢) داريا: قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة. "ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٤٣١.

(٣) صّحنايا: أرض صحنايا على حافة نهر الأعوج بدمشق. "البصروي: تاريخ البصروي، ج١، ص٢٢٣".

(٤) ابن طولون الدمشقي: مفاكهة الخلان ج٢ ص٢٢.

(٥) المزّة: قرية كبيرة غناء فى وسط بساتين دمشق، بينها وبين دمشق نصف فرسخ. "ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥ ص١٢٢".

وهموا بقتال بعضهم البعض، فدار عليباى نائب قلعة دمشق بعد العصر دورة يخوف فيها الناس، فبات أهل دمشق في خوف عظيم، والتزم بالزعر بعض القلعيين بألف دينار في سبيل السكون والرحيل، فذهبوا بغير نهب ولا قتال(١)، فتخويف نائب القلعة للناس كان هدفه عدم اقبالهم على الخوض والاشتراك في الخلاف القائم، فيزداد الشر وتشتعل الفتنة، حتى يتسنى له معالجة الأمر الذي يبدو أنه لم يكن له علاج سوى دفع شر الزعر بالمال، فالدفع بالقوة ليس هو الحل الأمثل في كل الأحوال.

ولنائب القلعة دور في العمل على امتصاص غضب الرعية وسيادة الهدوء والاستقرار ففي ٩١١هـ/١٥٠٦م قام طومان باى نائب قلعة دمشق بإخراج من عليه غرامات من أهل الحارات من الحبس، وذلك بعدما اجتمع أهل دمشق يوم عرفة، وخرجوا مهللين غاضبين من أجل الغرامات المفروضة على الحارات، فعمل نائب القلعة بذلك على تهدئتهم، وفى المقابل طلب منهم عدم تكرار خروجهم هذا بالتهليل، وشدد على أن كل من ارتكب جرمًا منهم سيعاقب بجريمته(٢).

ومن هنا يتضح أن الدور الاجتماعي المسند إلى نائب القلعة يتنوع ما بين عمارة القلاع، وتطييب خواطر الرعية، بالإضافة إلى مهام أخرى قد تُسند إليه مثل إمارة الحاج، وضبط الأسواق، ومشاركة الرعية أفراحهم وأتراحهم، وهي مهام اجتماعية لابد منها حتى يستقيم أمر البلاد وأمر أهلها، فالدور الاجتماعي لا يقل في أهميته عن الدور السياسي الذي يقوم به، بل هذا يكمل ذاك.

---

(١) ابن طولون الدمشقي: مفاكهة الخلان ج٢ ص٢٧.

(٢) ابن طولون الدمشقي: إعلام الورى، ص٢٠٠.

مكانة نائب القلعة بين الارتقاء والانحدار:

ومثلما تولى وظيفة نيابة القلعة العديد من أمراء المماليك ذوي الكفاءة والهمة والثقافة والشجاعة، فكذلك تولاها من ليس أهل لها، إذ لم يحافظ سلاطين المماليك دومًا على انتقاء متولى هذه الوظيفة ممن تتوفر فيه شروطها، بل أصبح في بعض الأحيان يعتلي نائب القلعة وظيفته عن طريق الرشوة ببذل المال دون أن يكون أهلاً لها، مما أدى إلى انحطاط مكانة متوليها عبر الزمن، وهكذا الشأن في أي حال، فضعف من بعد قوة، وذلة من بعد عزة، وضعة من بعد رفعة، وسقوط بعد مجد.

فممن حسُنت سيرته ممن تولى نيابة القلعة كان الأمير كمشبغا الجمالي الذي تولى نيابة قلعة الجبل في دولة الناصر فرج، وكان عاقلاً فقيهًا دينًا، خيرًا عفيفًا عن المنكرات، مات في ٨٣١هـ/١٤٢٧م(١).

وكذلك الأمير سيف الدين يشبك بن عبد الله الساقي الظاهري الأعرج، الذي تولى نيابة قلعة حلب في ٨١٦هـ/١٤١٣م، وكان أهلاً لها، إذ كان على معرفة بعلم الفقه، والقراءات، وفنون الفروسية، وأنواع الملاعيب كالرمح وغيره، إلى جانب ما وُصف به من العقل والحزم والدهاء وحسن التدبير(٢)، فقد كان من خيار الأمراء، محبًا للحق ولأهل الخير، كثير العبادة، كارهًا لكثير مما يخالف مقتضى الشرع، وكانت وفاته في ٨٣١هـ/ ١٤٢٨م(٣).

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم، ج١٥، ص١٥٠، ص١٥١.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم ج١٥ ص١٥١/ المنهل ج١٢ ص١٢٢.

(٣) السخاوي: وجيز الكلام ج٢ ص٥٠٢.

ومثله من نواب القلاع ممن أُثنى عليهم كــان الأميــر بيســق اليشــبكي الشعباني، والذي تولى نيابة قلعة دمشق في ٨٥٢هــ/١٤٤٩م، وظل بها حتى وفاته[١]، وعنه قيل: "نعم الرجل، كان ذا شجاعة وكرم، وعقل وتواضــع"[٢]، كما كان خيرًا شجاعًا، وكانت وفاته في ٨٥٣هــ/١٤٥٠م[٣].

كذلك ممن أجاد من نواب القلاع كان الأمير تمراز بن عبد الله القرمشــي الظاهري الدقماقي، الذي تولى نيابة قلعة الروم، وقد وُصف بأنه كان "عــاقلاً ساكنًا، كريمًا جوادًا، نادرًا في أبناء جنسه، وكان من محاسن الدنيا"[٤]، وقــد توفى في ٨٥٣هــ/١٤٥٠م[٥].

ويُلحق بذوي الكفاءة الأمير سودون النوروزي الذي تولى نيابة قلعة الجبل في ٨٦٠هــ/١٤٥٦م، وقد قيل عنه: "كان عاقلاً ساكنًا، بشوشًا حشمًا، ملحًــا كريمًا"[٦]،"أدوبًا"[٧]، "لا بأس به"، دام في نيابــة القلعــة إلــى أن مــات فــي ٨٦٢هــ/١٤٥٨م[٨].

---

(١) ابن شاهين: نيل الأمل، ج٢، ق٥، ص٢٩٢.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم، ج١٥، ص٥٤٤.

(٣) السخاوي: التبر، ج٢، ص١٩٨.

(٤) السخاوي: وجيز الكلام، ج٢، ص٦٤٤./ابن تغري بردي: النجوم، ج١٥، ص٥٣٧.

(٥) السخاوي: التبر، ج٢، ص١٩٨.

(٦) السخاوي: وجيز الكلام، ج٢، ص٧١٩.

(٧) ابن شاهين: نيل الأمل، ج٢، ق٦، ص٣٥.

(٨) البقاعي: إظهار العصر، ج٢، ص٣٥٣.

وأيضًا ملاج اليوسفي الظاهري جقمق، الذي استقر في نيابة قلعة الجبل في ٨٧٨هـ/١٤٧٤م، ومُدح بأنه كان"خيرًا دينًا، أدوبًا حشمًا عاقلاً، عارفًا بفنون الفروسية"، وكانت وفاته في ٨٩٢هـ/١٤٨٧م[١].

كذلك من أصحاب الكفاءات ممن تولى نيابة القلعة بدر الدين حسن بن حشيم المشهور بابن شمص، وكان شيخًا كبيرًا قد أسن، إلا إنه كان له همة ومروءة، وكانت وفاته في بضع وسبعين وثمانمائة، وقيل: إن بوفاته اختل نظام القلعة بالشام[٢].

فلكل هذه الصفات والمواصفات الفطرية والمكتسبة استحق هؤلاء عن جدارة تبوأ وظيفة نيابة القلعة كغيرهم ممن سبق ذكرهم وتولوها عن إجادة كأرجواش وإياجي، وتغري برمش الفقيه، وطقطباى، وغيرهم كثير.

أما الأمير ممجق بن عبد الله النوروي والذي تولى نيابة قلعة الجبل في ٨٤٢هـ/١٤٣٩[٣] فقد وصفه العسقلاني بأنه: "كان من الخيار"[٤]، على حين قال عنه ابن تغري بردي: "كان لا ذات ولا أدوات"، وأصل ممجق من مماليك الأمير نوروز الحافظي، واتصل بخدمة السلطان، فدام على ذلك مدة طويلة لا يلتفت إليه، إلى أن أمّره الملك الظاهر جقمق عشرة، ثم جعله نائبًا على قلعة الجبل[٥]، فاستمر على وظيفته إلى أن مات في ٨٤٤هـ/١٤٤١م[٦].

---

(١) ابن شاهين: نيل الأمل، ج٢، ق٨، ص٦١.

(٢) الحنبلي العليمي: الأنس الجليل، ج٢، ص٢٨٠.

(٣) المقريزي: السلوك ج٤ ق٣ ص١١٢٠.

(٤) إنباء الغمر، ج٢ ص١٥٢.

(٥) النجوم، ج١٥ ص ٤٨٥.

(٦) ابن شاهين: الروض الباسم ج١ ص ١٨٧/ الصيرفي: نزهة النفوس ج٤ ص٢٢٤.

وحديث ابن تغري بردي عنه جاء على هذا النحو ربما لأنه لم يُؤثر عن ممجق أحداث دُونت له في نيابته، بالإضافة إلى عدم استخدام ممجق من قبل في أي من الوظائف لفترة طويلة من الوقت، ولكن هذا ليس مقياسًا للحكم على كفاءة ممجق من عدمها، بل ربما سكوت المصادر عما يُدون عنه مرجعه إلى أن فترة نيابته امتازت بالاستقرار والهدوء، ولم يوجد ما يعكرها مما يُستلزم كتابته وتدوينه، وبقاءه في منصبه بدون عزل حتى وفاته ربما يؤيد هذا.

وشيئًا فشيئًا ينتاب هذه الوظيفة الضعف، بسبب أن أصحابها يتولونها ببذل المال، ومن هؤلاء كان الأمير حطط نائب قلعة حلب، والذي ذُكر عنه أنه تولاها ببذل المال، وأنه كان "لا للسيف ولا للضيف"[1] أي لم يكن على قدر هذه الوظيفة سياسيًا أو اجتماعيًا.

كما ذُكر عن الأمير زين الدين عمر بن قاسم جمعة القساسي الحلبي الذي تولى نيابة قلعة حلب في ٨٦٣هـ/١٤٥٩[2] أنه تولاها ببذل المال، وكان قد ولى قبل نيابة القلعة وظيفة حجوبية حلب ببذل المال أيضًا[3]، ولم يمكث زين الدين في نيابة قلعة حلب طويلاً، إذ توفى بعد توليه بعدة أشهر، وذلك في ٨٦٤هـ/١٤٦٠م[4].

(١) ابن تغري بردي: النجوم، ج١٦ ص١٦٩.

(٢) ابن شاهين: نيل الأمل ج٢ ق٦ ص٦٤.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم، ج١٦ ص٢٠٦.

(٤) ابن تغري بردي: حوادث، ج٢ ص٣٩٤.

كذلك تولى خير بك القصروي نيابة قلعة الجبل في ٨٦٥هـ/١٤٦١م بعد أن بذل في سبيل ذلك المال، ولم يشكر أحد فترة نيابته[١].

وممن تولى نيابة القلعة ببذل المال أيضًا كان الأمير كمشبغا السيفي يخشباي، الذي تولى نيابة قلعة حلب في ٨٦٦هـ/١٤٦٢م، فلم تحمد سيرته فيها، ثم نقل إلى نيابة آلبيرة، فلم تطل مدته بها، إذ مات في ٨٦٨هـ/١٤٦٤م، يقول ابن تغري بردي عنه: " وكان لا ذات ولا أدوات، ولو أنه ولى هاتين الولايتين ما ذكرناه هنا"[٢].

وممن سعى ببذل المال لتولي وظيفة نيابة القلعة أيضًا كان الصارم إبراهيم بن بيغوت، وقد أتى مسعاه ثماره، فقد تولى نيابة قلعة دمشق في ٨٦٦هـ/١٤٦٢م، قيل فيه: "إنه كان عاريًا من الفنون، عارفًا بأمور دنياه"[٣]، كما ذكر عنه أيضا أنه: "كان حشمًا ذا هيئة، متجملاً فى شئونه، لا بأس به في بعض الأحوال، وتوفى في ٨٧٣هـ/١٤٦٩م[٤].

وهناك من تولى نيابة القلعة، ولكنه لم تتوفر فيه من الصفات ما اشترط في متوليها، ومن هؤلاء: تغري برمش البهنسي، وعنه يقول ابن تغري بردي: "كان تغري برمش رجلاً طوالاً مليح الشكل، عاقلاً مدبرًا، كثير الدهاء والمكر، يجيد رمي النشاب ولعب الكرة، عارفًا بأمور دنياه، متجملاً في مركبه، وملبسه، ومماليكه، إلا أنه كان بخيلاً، شحيحًا، حريصًا على جمع

---

(١) ابن شاهين: الروض الباسم، ج٢ ٢٦/ ابن تغري بردي: النجوم، ج١٦ ص ١٥٣.

(٢) النجوم، ج١٦ ص٣٣٤.

(٣) ابن تغري بردي: حوادث، ج٣ ص٧٣٢.

(٤) ابن شاهين: نيل الأمل، ج٢ ق٦ حاشية ص٣٨٣/ الروض الباسم، ج٤ ص١٠٠.

المال، قليل الدين، لا يحفظ مسألة تامة في دينه، مع قلة فهم وذوق وغلاظة طبع، وكان عاريًا من سائر العلوم والفنون، ولم أره منذ عمري مسك كتابًا بيده ليقرأه، هذا، مع الجبن وعدم الثبات في الحروب وقلة الرأي، ولما صار الأمر إليه لم يفلح في واقعة من الوقائع، بل صار كلما دبر أمرًا من الأمور انعكس عليه، فإنه كان ظنينًا برأي نفسه، وليس له اطلاع في أحوال السلف، ولم يستشر أحدًا في أمره"[١]. ومن قول ابن تغري بردي هذا يتضح أنه لم يعُد هناك من الاهتمام بهذه الوظيفة ومتوليها ما كان سائدًا من قبل من مراعاة اختيار النائب، ممن تتوفر فيه مواصفات نائب القلعة سابقة الذكر.

وفى ٨٧٢هـ/١٤٦٨م قُرر الأمير يشبك السيفي علي باى[٢] في نيابة قلعة دمشق بعد أن بذل في توليها خمسة آلاف دينار[٣].

كذلك تولى تمرباى (تمراز) بن عبد الله الأشرفي نيابة قلعة حلب بعد أن سعى فيها ببذل المال، والذي قُدر بستة آلاف دينار[٤]، قال عنه الصيرفي: "لولا أنه ولي نيابة قلعة حلب ما ذكرته مع الأمراء والأعيان، وكان لا يصلح للسيف ولا الضيف"[٥].

---

(١) النجوم، ج١٥، ص٢٧٣.

(٢) يشبك السيفي علي باى: تولى نيابة قلعة دمشق فى عهد السلطان الأشرف قايتباي ببذل المال. "البصروي، تاريخ البصروي، ج١ ص ٥٩".

(٣) ابن شاهين: نيل الأمل ج٢ ق٦ ص ٣١٧/ الروض الباسم ج١ ص ٣٧٨.

(٤) ابن شاهين: الروض الباسم، ج٣ ص ٣٧٨.

(٥) إنباء الهصر، ص١٦٧.

ومثل ذلك أيضًا أُسند إلى أيدكي نيابة قلعة دمشق في ٨٩٣هـ/١٤٨٨م بعد أن دفع خمسة آلاف دينار معجلة، ووعد بخمسين مؤخرة، فأُرسل إليه التشريف السلطاني بنيابة القلعة(١)، وفي أثناء نيابته بها ذُكر أنه ظلم واعتدى، فعزله السلطان قايتباي عنها، بل وأمر السلطان بأن يُنادى في دمشق بأن كل من ظلمه أيدكي فإنه سوف يُرد عليه ما أُخذ له(٢)، وكانت وفاة أيدكي ٩٠٥هـ/١٥٠٠م(٣). والغريب عزل السلطان له وكأنه تفاجأ بظلمه، فماذا كان ينتظر من نائب قلعة قطع على نفسه وعدًا بدفع خمسين ألف دينار بعد توليه؟ فمن ين سيأتي بتلك الأموال من غير أن يُنزل بأهل دمشق الشدائد والمِحَن، حتى يتسنى له جمعها.

والملاحظ أن كل من تولى نيابة القلعة ببذل المال كان ما بين من لا يُحمد له سيره، وبين من لم يُشكر له فعل، وبين من جار بظلمه واعتدى، وهؤلاء لم يكن يرجى من ورائهم غير ذلك، فحاجتهم إلى المنصب جعلتهم يدفعون المال في سبيل الحصول عليه، وحاجة السلاطين إلى المال جعلتهم يقبلون ممن هو أدنى في تلك الوظيفة، وجعلتهم يتغاضون عن شروط ومواصفات متوليها، ولذا طغت كفاءة المال على كفاءة الرجال، مما أدى إلى انحطاط مكانة أغلب من تولى وظيفة نيابة القلعة.

---

(١) ابن طولون الدمشقي: مفاكهة الخلان ج١ ص٩٢.

(٢) ابن الحمصي: حوادث ج١ ص٢٦١.

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور ج٣ ص٤٢٦.

الخاتمة

من خلال البحث في وظيفة نائب القلعة تم التوصل إلى أن:

- تعيين نائب القلعة من جهة السلطان فقط، إلا إذا خول السلطان هذا الحق لأحد نواب السلطنة.
- نيابة القلعة قد تكون ثنائية إذا ما تراءى للسلطان ذلك.
- يتم اختيار متولي وظيفة نائب القلعة ممن تتوفر فيه شروط ومواصفات التولية.
- يجب أن يكون ولاء نائب القلعة للسلطان، يأتمر بأمره، وينتهي بنهيه، ما لم يكن إثمًا.
- يجوز لنائب القلعة أن يجمع بين وظيفتين إذا ما أسند إليه ذلك.
- يحق لنائب القلعة أن يتخذ مساعدين أعوانًا له.
- يجب على نائب القلعة تنفيذ ما يُسند إليه من مهام، حتى وإن كانت خارج نطاق مهامه.
- إحاطة نائب القلعة بجميع ما يدور في البلاد، حتى يتسنى له تحقيق الأمن، وتوفير الأمان.
- على الرعية من أهل البلاد تقديم العون لنائب القلعة، وعليهم السمع والطاعة تحقيقًا للاستقرار.

ملحق

نواب القلاع في العصر المملوكي

	اسم النائب	مكان القلعة	زمن النيابة
١	مجد الدين الطوري	صفد	٦٦٩هـ/١٢٧١م
٢	عز الدين الأفرم	الجبل	٦٧٨هـ/١٢٧٩م
٣	علم الدين سنجر الدواداري	دمشق	٦٧٨هـ/١٢٧٩م
٤	حسام الدين لاجين	دمشق	٦٧٨هـ/١٢٧٩م
٥	بيبرس الجالق	دمشق	٦٧٨هـ/١٢٧٩م
٦	سيف الدين الجوكندار	دمشق	٦٧٨هـ/١٢٧٩م
٧	سيف الدين سنجار المنصوري	دمشق	٦٧٩هـ/١٢٨٠م
٨	بيدرا	الجبل	٦٨٩هـ/١٢٩٠م
٩	علم الدين سنجر أرجواش	دمشق	٦٩٠هـ/١٢٩١م
١٠	عز الدين الموصلي	الروم	٦٩٢هـ/١٢٩٢م
١١	سيف الدين طوغان	الروم	٦٩٢هـ/١٢٩٢م
١٢	صارم الدين أزبك	بلاطنس	٦٩٩هـ/١٢٩٩م
١٣	سيف الدين أقجبا المنصوري	دمشق	٧٠٠هـ /١٣٠٠م
١٤	فخر الدين أياز	الجبل	٧٠٠هـ /١٣٠٠م
١٥	سيف الدين بهادر السنجري	دمشق	٧٠٢هـ /١٣٠٢م
١٦	سيف الدين بلبان الجوكندار	دمشق	٧٠٢هـ/١٣٠٢م
١٧	سيف الدين أرغون	الكرك	٧٠٩هـ/١٣٠٩م
١٨	سيف الدين طوغان	صفد	---------
١٩	سيف الدين بهادر الشمسي	دمشق	٧١٨هـ/١٣١٨م
٢٠	علم الدين سنجر الدميتري	دمشق	٧٢٧هـ/١٣٢٦م
٢١	علاء الدين مغلطاي الخازن	دمشق	٧٢٧هـ /١٣٢٦م

٢٢	سيف الدين أزاي الناصري	صفد	٧٣٤هـ/١٣٣٣م
٢٣	بدر الدين بكتوت السنجري	جعبر	٧٣٦هـ/١٣٣٥م
٢٤	سيف الدين ينفجار	دمشق	٧٣٦هـ/١٣٣٥م
٢٥	علاء الدين مغلطاي المارتيني	دمشق	٧٣٧هـ/١٣٣٦م
٢٦	علاء الدين مغلطاي المارتيني	جعبر	٧٣٧هـ/١٣٣٦م
٢٧	حسام الدين لاجين الإبراهيمي	دمشق	٧٣٧هـ/١٣٣٦م
٢٨	أيبك الجمالي	آلبيرة	٧٣٨هـ/١٣٣٧م
٢٩	كندغدي العمري	آلبيرة	٧٣٨هـ/١٣٣٧م
٣٠	عز الدين أيدمر الزراق	الجبل	٧٣٨هـ/١٣٣٧م
٣١	قبلاي	الكرك	٧٤٤هـ/١٣٤٣م
٣٢	تمربغا العقيلي	الكرك	٧٤٤هـ/١٣٤٣م
٣٣	سيف الدين ملكتمر السرجواني	الكرك	٧٤٤هـ/١٣٤٣م
٣٤	سيف الدين جركس الناصري	الروم	٧٤٥هـ/١٣٤٤م
٣٥	قرمجي بن أقطوان	صفد	٧٤٧هـ/١٣٤٦م
٣٦	موسى الحاجب	الروم	٧٥٢هـ/١٣١٥م
٣٧	سيف الدين إياجي	دمشق	٧٥٣هـ/١٣٥٢م
٣٨	سيف الدين برناق	دمشق	٧٦٢هـ/١٣٦٠م
٣٩	زين الدين زبالة	دمشق	٧٦٤هـ/١٣٦٢م
٤٠	الطنبغا الشمسي	الجبل	٧٦٥هـ/١٣٦٣م
٤١	طينال المارديني	الجبل	٧٦٥هـ/١٣٦٣م
٤٢	ككبغا البيبغاوي	جعبر	٧٧٥هـ/١٣٧٣م
٤٣	أقبغا الناصري	بهسنا	٧٧٥هـ/١٣٧٣م
٤٤	أيدمر الشمسي	الجبل	٧٧٨هـ/١٣٧٦م
٤٥	شهاب الدين بن الحمصي	دمشق	٧٨٥هـ/١٣٨٣م

٤٦	سُبرج الكمشبغاوي	الجبل	٧٩٠هـ/١٣٨٨م
٤٧	ناصر الدين بن سلار	حلب	٧٩١هـ/١٣٨٨م
٤٨	محمد بن يلبان الناصري	حلب	٧٩١هـ/١٣٨٨م
٤٩	آقبيه الأشرفي	الروم	٧٩١هـ/١٣٨٨م
٥٠	حسين بن الفقيه	حلب	٧٩١هـ/١٣٨٨م
٥١	بجاس	دمشق	٧٩٢هـ/١٣٨٩م
٥٢	تُكا الأشرفي	الجبل	٧٩٢هـ/١٣٨٩م
٥٣	علاء الدين أقبغا الجمالي	حلب	٧٩٢هـ/١٣٨٩م
٥٤	تمان تمر الأشرفي	بهسنا	٧٩٢هـ/١٣٨٩م
٥٥	دنكز بغا	بعلبك	٧٩٣هـ/١٣٩٠م
٥٦	سودون باق	دمشق	٧٩٣هـ/١٣٩٠م
٥٧	آسندمر	الجبل	٧٩٣هـ/١٣٩٠م
٥٨	سودون الفخري الشيخوني	الجبل	٧٩٣هـ/١٣٩٠م
٥٩	سيف الدين كمشبغا الظاهري	الروم	---------
٦٠	سيف الدين بلبان المنجكي	دمشق	٧٩٦هـ/١٣٩٣م
٦١	جمال الدين الهيذباني	دمشق	٧٩٦هـ/١٣٩٣م
٦٢	طنغجي	الروم	٧٩٧هـ/١٣٩٤م
٦٣	يلوا	دمشق	٧٩٨هـ/١٣٩٥م
٦٤	جاني بك اليحياوي	دمشق	٨٠١هـ/١٣٩٨م
٦٥	تُمربغا المحمدي	دمشق	٨٠٢هـ/١٣٩٩م
٦٦	الشهاب أحمد اليغموري	دمشق	٨٠٣هـ/١٤٠٠م
٦٧	خِجا بن سالم الدوكاري	جعبر	٨٠٦هـ/١٤٠٣م
٦٨	ألطنبغا بشلق	الصبيبة	٨٠٧هـ/١٤٠٤م
٦٩	بيازير	صهيون	٨٠٧هـ/١٤٠٤م

٧٠	ألتش الشعباني	الجبل	٨٠٩هـ/١٤٠٦م
٧١	منطوق	دمشق	٨١٠هـ/١٤٠٧م
٧٢	كمشبغا الجمالي	الجبل	٨١٣هـ/١٤١٠م
٧٣	تنبك	الروم	٨١٣هـ/١٤١٠م
٧٤	طوغان الطويل	الروم	٨١٣هـ/١٤١٠م
٧٥	حيدر	الرقب	٨١٣هـ/١٤١٠م
٧٦	مبارك شاه	الروم	٨١٤هـ/١٤١١م
٧٧	شاهين الرومي	الجبل	٨١٤هـ/١٤١١م
٧٨	دمرداش	الروم	٨١٥هـ/١٤١٢م
٧٩	أقبغا جركس	حلب	٨١٦هـ/١٤١٣م
٨٠	يشبك الساقي	حلب	٨١٦هـ/١٤١٣م
٨١	بُردبك قصقا	الجبل	٨١٧هـ/١٤١٤م
٨٢	جانبك الحمزاوي	الروم	٨١٨هـ/١٤١٥م
٨٣	أزدمر شايا	الجبل	٨٢٠هـ/١٤١٧م
٨٤	شاهين أرغون	حلب	٨٢٠هـ/١٤١٧م
٨٥	الشيخ أحمد	سيس	٨٢٠هـ/١٤١٧م
٨٦	أبو بكر بن بهادر الجعبري	الروم	٨٢٠هـ/١٤١٧م
٨٧	منكلي خجا السيفي	الروم	٨٢٠هـ/١٤١٧م
٨٨	الطنبغا المرقبي	حلب	٨٢٠هـ/١٤١٧م
٨٩	شاهين الأرغون شاوي	حلب	٨٢٠هـ/١٤١٧م
٩٠	شاهين الدويدار أرغون شاه	دمشق	٨٢٠هـ/١٤١٧م
٩١	عمر بن الطحان	صفد	٨٢١هـ/١٤١٨م
٩٢	شاهين بن عبد العزيز	صفد	٨٢١هـ/١٤١٨م
٩٣	سنقر	دمشق	٨٢١هـ/١٤١٨م

٩٤	كمشبغا التنمي	دمشق	٨٢٣هـ/١٤٢٠م
٩٥	باك	حلب	٨٢٤هـ/١٤٢١م
٩٦	أركماس الظاهري	دمشق	٨٢٤هـ/١٤٢١م
٩٧	قطج	الجبل	٨٢٤هـ/١٤٢١م
٩٨	جركس المصارع	الجبل	٨٢٤هـ/١٤٢١م
٩٩	شجاع الدين	حلب	٨٢٤هـ/١٤٢١م
١٠٠	أردوبغا	صفد	٨٢٥هـ/١٤٢٢م
١٠١	أسندمر	الجبل	٨٢٥هـ/١٤٢٢م
١٠٢	تغري برمش البهنسي	الجبل	٨٢٧هـ/١٤٢٤م
١٠٣	تنبك بن بردبك الظاهري	الجبل	٨٢٩هـ/١٤٢٦م
١٠٤	تنبك السيفي النوروزي	الجبل	٨٤١هـ/١٤٣٨م
١٠٥	حطط الدقماقي	حلب	٨٤٢هـ/١٤٣٩م
١٠٦	فارس	دمشق	٨٤٢هـ/١٤٣٩م
١٠٧	خشكلدي السيفي يشبك	صفد	٨٤٢هـ/١٤٣٩م
١٠٨	ممجق	الجبل	٨٤٢هـ/١٤٣٩م
١٠٩	تغري برمش الفقيه	الجبل	٨٤٤هـ/١٤٤١م
١١٠	شاهين الأشقر	حلب	٨٤٧هـ/١٤٤٤م
١١١	جانبك الناصري	دمشق	٨٤٨هـ/١٤٤٥م
١١٢	سودون المحمدي	دمشق	٨٤٨هـ/١٤٤٥م
١١٣	تغري بردي الجركسي	حلب	٨٥١هـ/١٤٤٨م
١١٤	أقبردي الساقي الظاهري	حلب	٨٥١هـ/١٤٤٨م
١١٥	يونس العلائي	الجبل	٨٥١هـ/١٤٤٨م
١١٦	بيسق اليشبكي	دمشق	٨٥٢هـ/١٤٤٩م
١١٧	تمراز بن عبد الله الأشرفي	الروم	----------

١١٨	صرغتمش	دمشق	----------
١١٩	أحمد الظاهري برقوق	دمشق	----------
١٢٠	الجمال يوسف بن يغمور	صفد	٨٥٦هـ/١٤٥٣م
١٢١	قاني باى طاز	صفد	٨٥٦هـ/١٤٥٣م
١٢٢	مغلباي البجاسي	الروم	٨٥٦هـ/١٤٥٣م
١٢٣	ناصر الدين محمد	الروم	٨٥٦هـ/١٤٥٣م
١٢٤	حسن بن علي بن قرايلوك	آمد	٨٥٧هـ/١٤٥٤م
١٢٥	قاني باى الناصري الأعمش	الجبل	٨٥٧هـ/١٤٥٤م
١٢٦	ابن شهري	دروكي	٨٥٧هـ/١٤٥٤م
١٢٧	الزيني قاسم بن جمعة القساسي	حلب	٨٥٨هـ/١٤٥٥م
١٢٨	سودون النوروزي	الجبل	٨٦٠هـ/١٤٥٦م
١٢٩	كسباى السمين	الجبل	٨٦٢هـ/١٤٥٨م
١٣٠	عمر بن قاسم القساسي	حلب	٨٦٣هـ/١٤٥٩م
١٣١	ابن جباره	حلب	٨٦٤هـ/١٤٦٠م
١٣٢	خير بك القصروي	الجبل	٨٦٥هـ/١٤٦١م
١٣٣	سودون السيفي قصروه	الجبل	٨٦٥هـ/١٤٦١م
١٣٤	سودون قيدروه التركماني	دمشق	٨٦٦هـ/١٤٦٢م
١٣٥	الصارمي إبراهيم بن بيغوت	دمشق	٨٦٦هـ/١٤٦٢م
١٣٦	تغري بردي بن يونس	حلب	٨٦٦هـ/١٤٦٢م
١٣٧	كمشبغا السيفي يخشباى	حلب	٨٦٦هـ/١٤٦٢م
١٣٨	جكم	كركر	٨٦٨هـ/١٤٦٤م
١٣٩	جانبك السيفي تغري برمش	صفد	٨٦٨هـ/١٤٦٤م
١٤٠	علي بن الشيباني	حلب	٨٧١هـ/١٤٦٧م
١٤١	دمرداش البكلمشي	حلب	٨٧١هـ/١٤٦٧م

١٤٢	جانبك الظاهري	دمشق	٨٧١هـ/١٤٦٧م
١٤٣	سودون الفقيه البردبكي	الجبل	٨٧٢هـ/١٤٦٨م
١٤٤	تغري بردي ططر الظاهري	الجبل	٨٧٢هـ/١٤٦٨م
١٤٥	يشبك السيفي علي باى	دمشق	٨٧٢هـ/١٤٦٨م
١٤٦	بيبرس	حلب	٨٧٥هـ/١٤٧١م
١٤٧	ابن لبينه	حلب	٨٧٥هـ/١٤٧١م
١٤٨	ملاج اليوسفي	الجبل	٨٧٨هـ/١٤٧٤م
١٤٩	علي بن شاهين	دمشق	٨٨٠هـ/١٤٧٦م
١٥٠	علاء الدين بن شاهين	دمشق	٨٨٥هـ/١٤٨١م
١٥١	أيدكي	دمشق	٨٩٣هـ/١٤٨٨م
١٥٢	شاد بك أخوج الأشقر	الجبل	٨٩٣هـ/١٤٨٨م
١٥٣	باكير أبو بكر بن صالح	الروم	٨٩٤هـ/١٤٨٩م
١٥٤	جانم الأشرفي	حلب	٨٩٦هـ/١٤٩١م
١٥٥	بردبك جبس	دمشق	٨٩٩هـ/١٤٩٤م
١٥٦	يخشباى الكاشف	دمشق	٨٩٩هـ/١٤٩٤م
١٥٧	مصر باى بن علي باى	حلب	٩٠٠هـ/١٤٩٥م
١٥٨	أحمد بن بهادر	صفد	٩٠١هـ/١٤٩٦م
١٥٩	جان بلاط الغوري	دمشق	٩٠١هـ/١٤٩٦م
١٦٠	أزدمر المشد	دمشق	٩٠٢هـ/١٤٩٧م
١٦١	قصروه	دمشق	٩٠٢هـ/١٤٩٧م
١٦٢	قيت	الجبل	٩٠٣هـ/١٤٩٨م
١٦٣	بيبرس بن حيدر الأشرفي	الجبل	٩٠٣هـ/١٤٩٨م
١٦٤	قنبك أبو شامه	الجبل	٩٠٣هـ/١٤٩٨م
١٦٥	دولات باى	دمشق	٩٠٣هـ/١٤٩٨م

١٦٦	أقباى	دمشق	٩٠٣هـ/١٤٩٨م
١٦٧	جانم مصبغة	دمشق	٩٠٥هـ/١٥٠٠م
١٦٨	أزدمر الأشقر اليحياوي	دمشق	٩٠٥هـ/١٥٠٠م
١٦٩	بيبرس	دمشق	٩٠٥هـ/١٥٠٠م
١٧٠	طوخ المحمدي	الجبل	٩٠٦هـ/١٥٠١م
١٧١	أقباى اليحياوي	حلب	٩٠٦هـ/١٥٠١م
١٧٢	طقطباي	الجبل	٩٠٧هـ/١٥٠٢م
١٧٣	بردبك دودار الغوري	دمشق	٩٠٨هـ/١٥٠٣م
١٧٤	طومان باى	دمشق	٩١٠هـ/١٥٠٥م
١٧٥	أبرك	حلب	٩١٦هـ/١٥١١م
١٧٦	يوسف الناصري	حلب	٩١٧هـ/١٥١٢م
١٧٧	سنطباى	دمشق	٩١٧هـ/١٥١٢م
١٧٨	علي باى	دمشق	٩١٩هـ/١٥١٤م
١٧٩	تاني بك الأشرفي	الجبل	٩٢٢هـ/١٥١٧م
١٨٠	قانصوه الأشرفي	حلب	٩٢٢هـ/١٥١٧م

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المصادر العربية:

ابن الأثير، أبو الحسن محمد بن عبد الكريم الشيبانى(٦٣٠هـ/١٢٣٢م):
الكامل فى التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

الإدريسي، محمد بن عبد الله(٥٦٠هـ/١١٦٦م):
نزهة المشتاق فى اختراق الأفاق، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

ابن إياس، محمد بن محمد بن أحمد الحنفى (٩٣٠ه/١٥٢٤م):
بدائع الزهور فى وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، ط٣، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

البرزالى، القاسم بن محمد بن يوسف(٧٣٩هـ/١٣٣٩م) :
المقتفى على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية – صيدا – بيروت، ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦م.

البصروي، على بن يوسف بن أحمد (٩٠٥هـ/١٤٩٩م):
تاريخ البصروي. تحقيق: أكرم حسن العلبي، ط١، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤٠٨هـ.

البقاعى، إبراهيم بن عمر(٨٨٥هـ/١٤٨٠م):
إظهار العصر لأسرار أهل العصر. تاريخ البقاعي. تحقيق: محمد سالم شديد العوفي، ط١، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

بيبرس، الدودار(٧٢٥هـ/١٣٢٥م) :

مختار الأخبار، تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى ٧٠٢هـ. تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، ط١، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة. تحقيق: زبيدة محمد عطا، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠١م

ابن تغرى بردى، جمال الدين أبو المحاسن(٨٧٤هـ/١٤٧٠م):

منتخبات من حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، حررها: وليم بير، كاليفورنيا، ١٩٣٠م.

المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافى. تحقيق: محمد محمد أمين، القاهرة. مركز تحقيق التراث. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.

مورد اللطافة فى من ولي السلطنة والخلافة. تحقيق: نبيل أحمد عبد العزيز – القاهرة – دار الكتب المصرية، ١٩٩٧م.

الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق: محمد فهيم محمد شلتوت– القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٩م.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة. تحقيق: جمال الدين الشيال، فهيم محمد شلتوت، ط٢، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

ابن جبير، محمد بن أحمد الأندلسي(٦١٤هـ/١٢١٧م):

رحلة ابن جبير، دار الكتاب اللبناني – بيروت، د. ت.

ابن الجزري. أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (٧٣٩هـ/١٣٣٩م):

حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١ المكتبة العصرية – صيدا – بيروت، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٦م.

ابن حبيب، الحسن بن عمر (٧٧٩هـ/١٣٧٧م):
تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه. تحقيق: محمد محمد أمين، القاهرة، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٦م.
درة الأسلاك في دولة الأتراك. تحقيق: محمد محمد أمين – القاهرة – دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.
ابن الحمصى، أحمد بن محمد بن عمر(٩٣٤هـ/١٥٢٧م):
حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. المكتبة العصرية. صيدا – بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
الحنبلى، أبو الفلاح عبد الحى العماد(١٠٨٩هـ/١٦٧٩م) :
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، القاهرة، مكتبة القدس، ١٣٥١م.
الحنبلي، مجير الدين العليمي(٩٢٨هـ/١٥٢٢م):
الأنس الجليل، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد، مكتبة دنديس، عمان، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
الخزنداري: قرطاي العزي (٧٠٨هـ/١٣٠٩م):
تاريخ مجموع النوادر مما جرى للأوائل والأواخر(٦٢٦ – ٦٩٣). تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية – صيدا – بيروت، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد المغربى(٨٠٨هـ/١٤٠٦م):
العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة الأعلمي – بيروت – لبنان، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
ابن دقماق، صارم الدين بن ايدمر العلائى(٨٠٩هـ/١٤٠٦م) :

النفحة المسكية فى الدولة التركية من كتاب الجوهر الثمين فى سير الخلفاء والملوك والسلاطين. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩م.

الدوادارى، أبو بكر عبد الله(٧٣٦هـ/١٣٣٥):

كنز الدرر "الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر". تحقيق: هانس روبرت رويمر، القاهرة، المعهد الآلماني للآثار، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.

كنز الدر وجامع الغرر (الدرة الزكية فى أخبار الدولة التركية)، تحقيق: أولرخ هارمان، القاهرة، المعهد الألماني للآثار، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

الذهبى، شمس الدين محمد بن أحمد (٧٤٨هـ/١٣٤٧م):

العبر فى خبر من خبر. تحقيق: صلاح الدين المنجد، ط٢، مطبعة الكويت–الكويت، ١٩٨٤م.

سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد فهيم، ط٩، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ.

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، ج١، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

ابن زنبل الرمال، الشيخ أحمد (٩٦٠هـ/١٥٥٢م):

آخره المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني. تحقيق: عبد المنعم عامر – الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م.

ابن سباط، حمزه بن أحمد بن عمر(٩٢٦هـ/١٥٢٠م):

صدق الأخبار. تاريخ ابن سباط، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس، لبنان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

السبكي، تاج الدين عبد الوهاب (٧٧١هـ/١٣٧٠م):

معيد النعم ومبيد النقم. تحقيق: محمد على النجار وآخران، ط٢، القاهرة. مكتبة الخانجي، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

السحماوي، شمس الدين محمد(٨٦٨هـ/١٤٦٤م):
الثغر الباسم فى صناعة الكاتب والكاتم المعروف باسم (المقصد الرفيع المنشا الهادي لديوان الانشا للخالدي). تحقيق: أشرف محمد أنس، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
السخاوى، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن(٩٠٢هـ/١٤٩٦م):
وجيز الكلام فى الذيل على دول الاسلام. تحقيق: بشار عواد معروف وآخران، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
التبر المسبوك فى ذيل السلوك. تحقيق: نجوى مصطفى كامل/ لبيبة إبراهيم مصطفى، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت، د. ت.
السيوطى، جلال الدين(٩١١هـ/١٥٠٥م):
طبقات الحفاظ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.
ابن شاهين الحنفى، زين الدين عبد الباسط الظاهرى(٩٢٠هـ/١٥١٤م):
نيل الأمل فى ذيل الدول تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
الروض الباسم فى حوادث العمر والتراجم. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية - صيدا - بيروت، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.
الشجاعي، شمس الدين(٧٤٥هـ/١٣٤٤م):
تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي وأولاده. فرانز شتاينر - فيسبادن- ألمانيا، ١٣٩٨ هـ/ ١٩٤٨م.
الشوكانى، محمد بن على(١٢٥٠هـ/١٨٣٤م):
البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. دار المعرفة، بيروت، د. ت.
ابن صصرى، محمد بن أحمد(٨٠٠هـ/١٣٩٧م):

الدرة المضيئة فى الدولة الظاهرية. تحقيق: وليم م. برينــر، بركلـــي – كاليفورنيا، ١٩٦٣م.

الصفدى، صلاح الدين خليل(٧٦٤هـ/١٣٦٣م):

أعيان العصر وأعوان النصر. تحقيق: على أبو زيد وآخرون، ط١، دار الفكر – سورية – دمشق ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الارناؤوط/ تركي مصـــطفى، دار احيـــاء التراث– بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

الصيرفى، على بن داود الجوهرى(٩٠٠هـ/١٤٩٤م) :

إنباء الهصر بأنباء العصر. تحقيق: حسن حبشي. القـــاهرة، دار الفكـــر العربي، ١٩٧٠م.

نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان. تحقيق: حسن حشبي، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ١٩٧٠م.

ابن طولون، شمس الدين محمد الصالحي الدمشقي(٩٥٣هـ/١٥٤٦م):

مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان. تاريخ مصر والشام، تحقيق: محمـــد مصطفى، القاهرة، وزارة الثقافة والارشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.

إعلام الورى بمن ولى نائبًا من الأتراك بدمشق الشام الكبـــرى. تحقيـــق: عبد العظيم حامد خطاب، القاهرة، ١٩٧٣م.

العاصمى المكى، عبد الملك بن حسين الشافعى(١١١١هـ/١٦٩٩م):

سمط النجوم العوالي فى أنباء الأوائل والتوالي. تحقيق: عادل أحمد عبـــد الموجود/ على محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

ابن عبد الظاهر. محي الدين أبو الفضل عبد الله (٦٩٢هـ/١٢٩٣م):

تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور (٦٧٨هـ- ٦٨٩هـ). تحقيق: مراد الكامل/ محمد علي النجار، ط١، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي،١٩٦١م.

العسقلانى، أحمد بن على بن حجر(٨٥٢هـ/١٤٤٨م):

الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، ط٢، حيدر أباد، الدكن، الهند، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

إنباء الغمر بأبناء العمر، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

ابن على الكاتب. شافع العسقلاني (٧٣٠هـ/١٣٣٠م):

الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية – صيدا – بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

العمري، ابن فضل الله شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى (٧٤٩هـ/١٣٤٨م):

التعريف بالمصطلح الشريف، مصر، ١٣١٢هـ.

مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، تحقيق: محمد عبد القادر وآخرون، الإمارات العربية المتحدة – مركز زايد للتراث، ٢٠٠١م.

العينى، بدر الدين محمود(٨٥٥هـ/١٤٥١م) :

عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان. تحقيق: محمد محمد أمين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان. تحقيق: عبد الرازق الطنطاوي القرموط، ط١، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي. تحقيق: فهيم محمد علوي شتلوت، ط٢، دار الكتب والوثائق المصرية، ١٩٩٨م.

عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان. السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة. تحقيق: إيمان عمر شكرى، القاهرة، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٢م.

الفاخرى، بدر الدين بكتاش(٧٤٥هـ/١٣٤٤م):

تاريخ الفاخري، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

ابن الفرات. ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم.(٨٠٧هـ/١٤٠٥م)

تاريخ ابن الفرات. تحقيق: قسطنطين زريق – نجلا عز الدين – بيروت – المطبعة الأميركانية، ١٩٣٩م.

ابن قاضى شهبه، تقى الدين أحمد الأسدى(٨٥١هـ/١٤٤٧م):

تاريخ ابن قاضي شهبة. تحقيق: عدنان درويش، دمشق، ١٩٧٧م.

القرمانى، أحمد بن يوسف(١٠١٩هـ/١٦١٠م):

أخبار الدول وأثار الأول فى التاريخ. تحقيق: أحمد حطيط، فهمي سعد. ط١، عالم الكتب – بيروت، ١٩٩٢م.

القلقشندى، أحمد بن على(٨٢١هـ /١٤١٨م):

ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر، ط١، القاهرة، ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م.

صبح الأعشى فى صناعة الإنشا. تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

مأثر الإنافة في معالم الخلافة. تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب، بيروت، د. ت.

القوطي، كمال الدين عبد الرازق بن أحمد أبو الفضل الصابوني(٧٢٣هـ/١٣٣٢م):

الحوادث الجامعة والتجارب النافعة لمؤلِف من القرن الثاني الهجري والمنسوب لابن القوطي. تحقيق: بشار عواد معروف/ عماد عبد السلام رؤوف، ط١، دار الغرب الاسلامي، ١٩٩٧م.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي(٧٣٢هـ/١٣٣١م):

البداية والنهاية، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

مجهول:

تاريخ الملك الأشرف قايتباي. يؤرخ من عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ٥٥٤هـ حتى عهد الأشرف قايتاباي٨٧٧هـ. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

مفضل بن أبى الفضايل (٧٥٩هـ/١٣٥٨م):

النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، تحقيق: بلوشت ادجار، فرنسا – باريس، ٢٠٠٤م.

المقريزى، تقى الدين أحمد بن علي(٨٤٥هـ/١٤٤٢م):

السلوك لمعرفة دول الملوك، ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٧م.

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقى المصرى(٧١١هـ/١٣١١م):

لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت، د. ت.

ابن ناظر الجيش، تقى الدين عبد الرحمن بن محب الدين الحلبي(٧٧٨هـ/١٣٧٦م):

تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق: رودلف فسلى، القاهرة، العهد الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٨٧م.

النعيمي الدمشقي، عبد القادر بن محمد(٩٢٧هـ/١٥٢٠م):

الدارس فى تاريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ.

النويرى: شهاب الدين أحمد(٧٣٣ه/١٣٣٣م):

نهاية الأرب فى فنون الأدب، ط ٣، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٣٩هـ/ ٢٠٠٨م.

ياقوت الحموى، أبو عبد الله(٦٢٦هـ/١٢٢٩م):

معجم البلدان، دار الفكر- بيروت، د. ت.

اليونيني: قطب الدين موسى بن محمد:(٧٦٢هـ/١٣٢٦م):

ذيل مرآة الزمان، ط١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن – الهند، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م.

ثالثًا: المراجع العربية:

حسن الباشا:

الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، القاهرة،١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

الآثار الإسلامية (عمارة – فنون)، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٩٠م.

زين العابدين شمس الدين:

معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية، ط١، القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

سعيد عبد الفتاح عاشور:

العصر المماليكي فى مصر والشام، ط٢، دار النهضة العربية- القاهرة، ١٩٧٦م.

عبد القادر بدران الدمشقي :

منادمة الأطلال، تحقيق: زهير الشاويش، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت – ١٩٨٥م.

على إبراهيم حسن:
تاريخ المماليك البحرية وفى عصر الناصر بوجه الخصوص. القاهرة. مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٤م.
قاسم عبده قاسم:
الأسواق المصرية فى عصر سلاطين المماليك، ط١، مصر، عين للدراسات والبحوث، ١٤٣٤هـ/٢٠١٤م.
محمد أحمد دهمان:
معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكي، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
محمد عبد الغني الأشقر:
نائب السلطنة المملوكية فى مصر من (٦٤٨ - ٩٢٣ هـ/ ١٢٥٠ - ١٥١٧م) القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م.
محمد قنديل البقلي:
التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣.

رابعًا: المراجع المترجمة:

بول كازانوفا:
تاريخ ووصف قلعة القاهرة، ترجمة: أحمد دراج/ جمال محرز، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
كريزويل:
وصف قلعة الجبل، ترجمة: جمال محمد محرز، القاهرة- الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.